محمـــــد

رسول الله ﷺ منهج ورسالة

بحث وتحقيق

الشيخ / محمد الصادق عرجون

الجزء ٣٠ والأخير



مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م

وفد عبد القيس

حفاوة النبي ﷺ بقدومهم وإكرامهم

استقدام النبي ﷺ وفد عبد القيس:

ذكر محمد بن سعد في طبقاته قال: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي- يقصد شيخه الواقدي- بسنده عن عروة بن الزبير وبما حدثه عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: كتب رسول الله ﷺ إلى أهل البحرين أن يقدم عليه عشرون رجلًا منهم، فقدم عليه عشرون رجلًا رأسهم: عبد الله بن عوف الأشج وفيهم الجارود، ومنقذ بن حبان، وهو ابن أخت الأشج وكان قدومهم عام الفتح، فلما وصلوا إلى النبي ﷺ قال له بعض أصحابه: يا رسول الله، هؤلاء وفد عبد القيس، فقال ﷺ: «مرحبًا بهم، نعم القوم عبدالقيس!».

ثناء النبي ﷺ على عبد القيس وترحيبه بوفدهم ورئيسهم الأشج:

ثم ذكر ابن سعد أن النبي ﷺ نظر إلى الأفق صبيحة ليلة قدوم الوفد وقال: «ليأتينَّ ركب من المشركين، لم يكرهوا على الإسلام، قد أنضوا الركاب، وأفنوا الزاد، اللهم اغفر لعبد القيس، هم خير أهل المشرق».

ولما دخلوا على رسول الله ﷺ وسلموا عليه قال لهم: «أيكم عبد الله الأشج»؟ قال الأشج: أنا يا رسول الله -وكان الأشج رجلًا دميمًا- فنظر إليه ﷺ وقال: «إنه لا يُستقى في مسوك الرجال -جمع مسك، وهو الجلد- إنما يحتاج من الرجل إلى أصغريه:

لســانه وقلبه» ثم قال ﷺ للأشــج: «فيك خصلتان يحبهما الله» وفــي رواية «يحبهما الله ورســوله» فقال الأشــج: وما هما؟ قال ﷺ: «الحلم والأناة» قال الأشج: أشيء حدث؟ أم جبلت عليه؟ قال ﷺ: «بل جبلتَ عليه».

إسلام الجارود وإخلاص يقينه:

وكان في الوفد الجارود وكان نصرانيًا فدعاه رســول الله ﷺ إلى الإســلام فأسلم فحسن إسلامه، وقد كان له موقف في الردة يدل على ثبات قلبه على الإسلام.

وكان عبد الله بن الأشــج معنيًا بمســاءلة رســول الله ﷺ عن الفقــه والقرآن، ومن ثم فضله رســول الله ﷺ على ســائر الوفد في جائزته.

تعليق وتوضيح:

والمتأمــل فــي كلام ابن ســعد يــرى أن النبــي ﷺ أعلن عن ابتهاجه وســروره بقدوم وفد عبد القيــس بمدحه لهم وترحيبه بهــم، وذكر ﷺ أن بُشِّــر بقدومهم عليه بوحي مــن الله تعالى، فبشــر أصحابه بما أخبر به، ثم ذكر لهــؤلاء القادمين نعوتًا من الفضائــل تميزوا بها عن ســائر الوفود، وهــي نعوت تدور على محــور الإخلاص فــي إيمانهــم وإســلامهم، وعــدم إرادة الدنيا والاغتــرار بحطامهــا وزخارفهــا، وأنهم تحملوا في ســبيل هذا الإخلاص أشــد المشــقات والمتاعــب، فقد جدوا المســير إلى رســول الله ﷺ حتى أهزلــوا ركائبهــم وأفنوا زادهــم، ليقطعوا شاســع المســافات ووعثاء البوادي والجبال والشعاب والأودية

شــوقًا إلى رسول الله ﷺ ليســلموا على يديه، ويطالعوا إشراق نور النبوة في وجهه الشريف.

خصائص الرجولية التي امتاز بها الأشج رأس وفد عبد القيس:

ثم خص رسولُ الله ﷺ بأطيب الذكر، وأحمد الثناء رئيسَهم عبد الله بن الأشــج. وســماه صاحبَهم ليشــعره ويشــعرهم على ســمع المجتمع المســلم بــأن المســلمين كيفما كانــوا ما دام الإيمان برســالتهم الخالدة يعمر قلوبهم إخــوةً متصاحبين، ثم ذكــر ﷺ أن مــا تميز بــه هذا الصاحــب الحكيم مــن الفضائل الإنســانية لا يرجــع إلــى فراهة بدنه، وحســن ســمته، وجمال منظــره، فهو دميم المنظر، غير ســوي المظهــر، وإنما كان له هذا الامتياز على ســائر القوم بمــا حباه الله به من أخلاق حميدة ومــكارم عقلية، جبله الله عليها، وفــي طليعة ذلك كله (الحلم والأناة) وإلى هاتين الخصلتين يرجع جماع حكمته ومكارمه.

ولعــل ســيدنا رســول الله ﷺ أراد بهــذا الإخبــار لفــت نظر أصحابــه الأكرمين أن يكــون نظرهم إلى الرجــال في تفاضلهم هو الســمو الخلقي والفكري؛ لأن الرجال لا يرادون في الحياة الجــادة لضخامة أبدانهم، وطول أجســامهم ليتخذ من جلودهم أســقية وســيعة عظيمة، وإنما يرادون للســان ناطق بالحكمة، وقلب مفعم بالإيمان والرحمة.

وهذه النظرة للرجال من أعظم معالم منهج رســالة الإســلام؛ لأن الرجال يعيشــون على الأرض لإقامة موازين العدل بالحكمة

النافذة، والموعظة المؤثرة، والجـدل بمنطق الحق، ومجاهدة الباطـل العتيـد بالسـيف وسـائر وسـائل الحـرب المطهرة أو المؤدبة، ولا يكون ذلك إلا بلسـان منطيق بالحكمة والموعظة الحسـنة والجـدل المتناصـف، ومـن وراء ذلك قلـب يمد هذا اللسـان بجرأة تحب الموت في سبيل نصرة الحق، وشجاعة لا تتهور، ولكنها قوة أثبت من رسوخ الأطواد، لا تكره الموت ولا ترمي بنفسها بين أحضانه في رعونة المراءاة والتسميع.

تحقيق الخلاف بين ابن سعد وابن حجر في توقيت وفادة عبد القيس:

وقول ابن سـعد في روايته: (وكان قدومهم عام الفتح) يفيد أن لهم قدمة واحدة، وأنها كانت سـنة ثمـان من الهجرة، وهي سنة الفتح، ولكن الحافظ ابن حجر لم يرتض هذا الرأي، وذهب فـي كلام مدلـل بروايات لا تنزل عن مرتبة الصحة أو الحسـن، فقال في الفتح: والذي تبين لنا أنه كان لعبد القيس وفادتان:

إحداهمـا قبل الفتح، ولهـذا قالوا للنبـي ﷺ: بيننا وبينك كفـار مضـر، وكان ذلـك قديمًا إمَّا في سـنة خمـس أو قبلها، وكانت قريتهم في البحريـن أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة، وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلًا.

وفيهـا سـألوا النبي ﷺ عـن الإيمان، وعن الأشـربة، وكان فيهم الأشـج، وقال لـه النبي ﷺ: «إن فيـك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة».

ويلاحـظ علـى كلام ابن حجـر أنه جزم في صـدر كلامه بأن

القدمة الأولى لوفد عبد القيس كانت قبل الفتح دون تردد، ثم قال بعد ذلك: وكان ذلك قديمًا إما في سنة خمس أو قبلها، وقد عرفنا في كلام ابن سعد أن وفادتهم كانت في عام الفتح، والفتح كان في سنة ثمان من الهجرة، وهي فيما يظهر من كلام ابن سعد وفادة واحدة.

وقول الحافظ: وكانت قريتهم أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة يشعر أن إسلامهم كان قديمًا؛ لأن الجمعة أقيمت في المدينة في السنة الأولى للهجرة إثر انتهاء بناء المسجد النبوي، كما يؤيد ذلك قولهم للنبي ﷺ بيننا وبينك كفار مضر.

وقول ابن حجر: وفيها -أي في هذه القدمة الأولى لوفد عبد القيس التي قال عنها ابن حجر نفسه: إنها كانت قبل الفتح- سألوا عن الإيمان وعن الأشربة؛ غير مسلَّم على إطلاقه؛ لأن قبلية الفتح لم يعين زمنها، فهي لأن تكون قبلية بعيدة، وحينئذ يقال كيف يسألون عن الإيمان، وكانوا قد آمنوا وأقاموا الجمعة في قريتهم (جواثا) قبل أي بلد سوى المدينة المنورة؟ ثم يقال: كيف سألوا عن الأشربة، ولم تحرم محرماتها إلا بعد نزول المائدة وهي من آخر ما نزل من القرآن، بل قال بعض الأئمة من السلف: إنها آخر ما نزل من وحي القرآن؟

ثم ذكر ابن حجر: أنه كان فيهم الأشج في هذه القدمة، وأن النبي ﷺ قال له: «إن فيك خصلتين يحبهما الله» وهذا مما لم تختلف فيه الروايات، فهو أحرى أن يكون في القدمة الثانية

لهـذا الوفد، وسـيأتي ذكر ابن حجر لهـا. ومضى ابن حجر في كلامـه فقال: وروى أبـو داود من طريق أم أبان بنـت الوازع بن الـزارع، عن جدها زارع وكان في وفد عبـد القيس، قال فجعلنا نتبـادر مـن رواحلنا فنقبل يد النبي ﷺ وانتظر الأشـج واسـمه المنـذر حتى لبس ثوبيه، فأتى النبي ﷺ فقال له ﷺ: «إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسـوله: الحلم والأناة» وفي حديث هود بـن عبد الله بن سـعد العصري أنه سـمع جده مزيـدة العصري، قـال: بينما النبي ﷺ يحـدث أصحابه، إذ قال لهم: «سـيطلع عليكـم مـن هاهنا ركب هم خير أهل المشـرق» وهـذه الرواية محتملـة أنها هي روايـة أن النبي ﷺ نظر إلى الأفق صبيحة ليلة قدوم وفد عبد القيس فقال لأصحابه ما قدمناه في رواية ابن سعد دخلها الاختصار الموجز.

ثـم تقول رواية مزيـدة العصري: فقام عمـر فتوجه نحوهم، فلقي ثلاثة عشـر راكبًا فبشـرهم بقول النبـي ﷺ في مدحهم، ثم مشـى معهم عمـر رضي الله عنـه حتى أتى النبـي ﷺ فرموا بأنفسـهم عـن ركائبهم فأخذوا يده فقبلوها، وتأخر الأشـج في الركائـب حتـى أناخها، وجمـع متاعهم ثم جاء يمشـي، فقال النبي ﷺ «إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله».

الوفادة الثانية كانت في سنة الوفود سنة تسع:

ثانيتهمـا -أي ثانيـة الوفادتيـن اللتين كانتا لوفـد عبد القيس- كانت في سنة الوفود، وكان عددهم حينئذ أربعين رجلًا، وكان فيهم الجارود بن بشر بن المعلَّى، وكان نصرانيًا، فأسلم فحسن إسلامه.

ثــم قال ابن حجــر: ويؤيد التعدد -أي تعدد وفـادة عبد القيس على النبي ﷺ- ما أخرجه ابن حبان أن النبي ﷺ قال لهم: «ما لي أرى ألوانكم تغيرت؟» فإن فيه إشعارًا بأنه كان رآهم قبل التغير.

الاختلاف في اسم الأشج وترجيح ابن حجر أنه عبد الله ومناقشة رأيه:

وقد اختلفت أقوال العلماء في اسم الأشج، وأشهرها قول من قال: اســمه المنذر بن عائذ، وســماه النبي ﷺ الأشج لأثرٍ كان فــي وجهه، قال النووي: هذا هو الصحيح المشــهور في اســمه الذي قاله ابن عبد البر والأكثرون.

وقد ذكر هذا القسطلاني في المواهب نقلًا عن ابنٍ حجر في الفتــح، فقال: وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشــر رجلًا، وقيل: أربعــة عشــر، قــال الزرقاني: كما جــزم به القرطبــي والنووي، وهــم المنــذر بن عائذ، وهو الأشــج، ومنقذ بن حبــان، ومزيدة بن مالك، وعمرو بن مرحوم، والحارث بن شــعيب، وعبيدة بن همام، والحارث بن جندب، وصحار بن عباس، وعقبة بن جروة، وقيــس بــن النعمان، والجهــم بن قثــم، وجويرية العبدي، ورســتم العبدي، والزارع بن عامر، قال الزرقاني: انتهى ملخصًا من الفتح.

فترجيح ابن حجر بإصراره على تسمية الأشج عبدالله ترجيح لغير المشــهور الذي عليه الأكثــرون من مترجمي الرجال، وفي طليعتهــم الحافظ الثقة المتقــن أبو عمرو بن عبــد البر، وَجَزَمَ السهيلي بأنه المنذر بن عائذ، واختار محمد بن سعد في طبقاته أن اسمه عبد الله بن عوف، ووراء ذلك أقوال.

وقول النووي: وسـماه النبي ﷺ الأشـج لأثر كان في وجهه مخالـف لظاهر حديث الـزارع بن عامر أحد رجـال الوفد، وهو أعلـم بصاحبهـم، إذ جاء في حديثه عند البيهقي ما يشـعر بأنه كان معروفًا في قومه بلقب الأشـج، قـال الزارع: فجعلنا نتبادر مـن رواحلنا نقبل يد رسـول الله ورجله، وانتظر المنذر الأشـج حتى أتى عَيْبَتَهُ[1] فلبس ثوبيه، وفي حديث عند أحمد: فأخرج الأشـج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسـهما، ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبلها.

وفـي حديـث مزيدة بـن مالـك عنـد البيهقي، وأبـي يعلى والطبرانـي أن النبي ﷺ لما بَشَّـر أصحابه بقـدوم عبد القيس، وقال فيهم: «إنهم خير أهل المشرق» قام عمر -رضي الله عنه- فتوجه نحوهم، فلما لقيهم سـألهم فقال مـن القوم؟ قالوا: من بنـي عبد القيس، قال عمـر: فما أقدمكم هذه البـلاد ألتجارةٍ؟ قالـوا: لا، قـال عمر: أمـا إن النبـي ﷺ قد ذكركـم آنفا فقال خيرًا، ثم مشـى معهم حتى أتى النبي ﷺ فقال عمر للقوم: هذا صاحبكـم الذي تريدون، فرموا بأنفسـهم عن ركائبهم، فمنهم من مشـى إليه، ومنهم من هـرول، ومنهم من سـعى، حتى أتوا النبي ﷺ فابتدروه، ولم يلبسـوا إلا ثياب السـفر، فأخذوا يده فقبلوها، وتخلف الأشـج- وهو أصغر القوم- في الركاب حتى أناخها، وجمع متاع القوم وذلك بعين رسول الله ﷺ.

هـذه الأحاديث كلها مشـعرة بـأن لقب الأشـج كان معروفًا

---

(١) (العَيْبَة): مستودع الثياب.

يلقب به المنذر بن عائذ، فقول من قال: إن النبي ﷺ سماه به لأثر كان في وجهه ينبغي تأويله- إذا صح- وأظهر ما يقال في تأويله أن سيدنا رسول الله ﷺ كان يناديه بلقبه الأشج تمييزًا له بأثر مادي في بدنه بعد أن ميزه بأثر معنوي خلقي في عقله وإشراق روحه، وأن فيه خصلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم والأناة، والتميز بالصفات المعنوية الخلقية التي ترجع إلى مكارم الأخلاق من أرفع الشمائل الروحية التي ينبتها صفاء المعدن النفسي، ويتعاهدها الإيمان بما يصونها ويعلي الفضائل الإنسانية قدرها، وهذا مما خص بمعرفته وقدره أهل النهى من خاصة الحكماء والحلماء.

ومن ثم أراد النبي ﷺ أن يشهره بهذا اللقب الذي يحمل في طواياه شيئاً يبعده عن مظاهر الجمال المادي والاستواء البدني، ليجمع له الفضل من أطرافه، ويصبح هذا اللقب هو الاسم الذي يعرف به ويغلب عليه ليرد عنه حزازة بعض النفوس التي تغرها المظاهر، ليكون فيه للمجتمع المسلم درس منهجي تربوي، يحيا به هذا المجتمع ما بقي طموحًا إلى مكارم الأخلاق في حياته السلوكية.

بيان سبب وفادة وفد عبد القيس:

ذكرت مؤلفات السيرة النبوية رواية في بيان سبب وفادة وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ ولكن هذه الرواية لونت بألوان مختلفة في صياغتها، وأسلوبها وسياقها، إيجازاً وإطنابًا، بالنقص والزيادة، استطرادًا لما يتصل بها وإن لم يكن من صميمها.

رواية محمد بن سعد هي أصل الروايات في بيان سبب وفادة عبد القيس:

ولعل أقدم مؤلف ذكرها في إيجاز معبر هو محمد بن سعد في طبقاته، فقد جاء فيها صدر الحديث عن وفادة وفد عبد القيس، قال: أخبرني محمد بن عمر الأسلمي- يقصد شيخه الواقدي - قال: حدثني قدامة بن موسى، عن عبد العزيز بن رمانة، عن عروة بن الزبير، وقال- أي الواقدي- وحدثني عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، قالا- أي عروة وجعفر- : كتب رسول الله ﷺ إلى أهل البحرين أن يَقْدُم عليه عشرون رجلًا منهم، فقدم عليه عشرون رجلًا، رأسهم عبد الله بن عوف الأشج، وفيهم الجارود، ومنقذ بن حبان، وهو ابن أخت الأشج وزوج ابنته، وكان قدومهم عام الفتح، فلما تراءوا لمجلس رسول الله ﷺ قيل: يا رسول الله، هؤلاء وفد عبد القيس، قال ﷺ «مرحبا بهم، نعم القوم عبد القيس».

هذه رواية ابن سعد، وهي الرواية المبينة لسبب وفادة وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيها التصريح بأن النبي ﷺ هو الذي كتب لأهل البحرين يستقدم وفد عبد القيس، وفيها أنه ﷺ عين في كتبه عدد رجال الوفد الذين استقدمهم إليه، وهذا التعيين خفي الحكمة، مستبعد أن يكون قد كان إلا بتأويل أن يكون ﷺ كان على علم بعقلائهم وأهل الحكمة فيهم، كما يدل على ذلك سؤاله ﷺ منقذَ بنَ حبان عن أشراف قومه، رجل، رجل، يسميهم بأسمائهم، مما دعا منقذا إلى الإسلام،

قبل أن يصل إلى قومه، على ما سيأتي في كلام النووي رحمه الله تعالى.

وكان ﷺ يقصد بأهل البحرين الذين كتب إليهم كتابه قبيلة ربيعة، وهي إحدى قبيلتين عظيمتين يرجع إليهما النسب العدناني في الجزيرة العربية، وكانت ربيعة تقطن البحرين وما حولها حتى أطراف العراق ومشارف الشام، وما كان بقربها من مخاليف، وسهول، ووديان، وشعاب وجبال.

وكان يوازيها قبيلة مضر النزارية العدنانية، وكانت تتوطن الحجاز بتهائمه ونجوده وكوره، وقراه وبلاده، وكانت القبيلتان مضرب المثل في كثرة العدد والمنافسة المتنافرة المتغالبة، وإلى مضر تنتمي قريش، جِذْمُ[٢] عبد مناف دوحة رسول الله ﷺ.

ولعله ﷺ قصد إلى أن يجمع تحت لواء الإسلام أعظم قبائل العرب، بعد أن وضعت الحرب أوزارها، ليكونوا عدة وقوة مادية وروحية لدعوته، وسندًا قويًا لنشر رسالته رسالة الهدى والخير في آفاق العالمين، بالحجة النيرة والبرهان المضيء، وليردوا وهم في ظلال الوحدة الإيمانية مع مجتمع الإسلام اعتداء المعتدين، ويطهروا مسارهم من عوائق المعوقين بالقوة القاهرة إن لم تنفع الحجة الباهرة.

وعبد القيس التي قدم وفدها عليه ﷺ كانت من كبريات بطون قبيلة ربيعة، وحاملي رايات شرفها قوة وعددًا وشجاعة

---

(٢) الجذم هو الأصل والمنبت للشيء- القاموس المحيط.

وتعقــلا، وينتهي نســب عبد القيــس بعد أن أفضــى إلى جديلة بن أســد بــن نزار، وإليهــم وقع كتاب رســول الله ﷺ بقدومهم عليه، لأن حامل الكتاب منقذ بن حبان كان أحد رجالهم العقلاء المتحلين بأدب الأخلاق وفضائل المعاشرة، ولعله كسب ذلك من مهنته التجارية التي كان يتنقل بها بين البلاد والمجتمعات، فيرى ويسمع، ويأخذ ويعطي، ويختار من الأخلاق ما يقربه إلى القلــوب، ويفتح عقلــه إلى كل جديد من الأحــداث والتفكير، وآيــة ذلــك أنــه لما مر عليــه النبي ﷺ وهــو قاعد نهــض إليه، فحياه النبي ﷺ وســأله عن حاله وعن أشــراف قومه، وسماهم بأســمائهم، فوقع الإسلام في قلب منقذ، فأسلم وقرأ من القرآن ما قدر له، وصلى مع رسول الله ﷺ.

وقدم وفد عبد القيس على رســول الله ﷺ يرأسهم المنذر بن عائذ، أو عبد الله بن عوف، وهو الملقب بالأشج لأثر شجة كانت في وجهــه، ففرح النبــي ﷺ بقدومهم عليــه، فمدحهم وأكرم نزلهــم، وضيفهم فأحســن ضيافتهم، وقربهم إليه، وأســمعهم القرآن، وفقههم في الدين، ثم أجازهم فأعظم جوائزهم، وعادوا إلى قومهم دعاة إلى الله وهدايته، فكانوا من خير المسلمين.

هــذا الكتــاب الذي ذكره ابن ســعد فــي طبقاته عن شــيخه الواقــدي في قصة موجزة لبيان ســبب وفادة وفد عبد القيس هو الكتاب الذي جاء ذكره في عبارة الكرماني التي نقلها الزرقاني في شرح مواهب القسطلاني.

رواية الكرماني في سبب وفادة عبد القيس مأخوذة عن رواية ابن سعد:

قال: وكان سبب وفادة عبد القيس إلى النبي ﷺ أن منقذ بن حبان كان متجره إلى المدينة، فمر به ﷺ وهو قاعد فنهض إليه، فقال له رسول الله ﷺ «كيف قومك؟» ثم سأله عن أشرافهم، رجل رجل، بأسمائهم، فأسلم منقذ، وتعلم الفاتحة وسورة اقرأ، وكتب ﷺ لجماعة عبد القيس كتابًا أرسله مع منقذ، فلما وصل منقذ إلى قومه ومعه كتاب النبي ﷺ كتم الكتاب أيامًا- لعله لينظر حال قومه في تقبلهم لما جاءهم به من عند رسول الله ﷺ وكان منقذ يصلي في بيته وتراه زوجه وهو يتطهر، ويركع ويسجد، فقالت لأبيها المنذر بن عائذ، وهو الأشج: إني أنكرت فعل بعلي منذ قدم من يثرب، إنه يغسل أطرافه، ثم يستقبل الكعبة فيحني ظهره مرة، ويضع جبينه على الأرض أخرى.

فالتقى الأشج بمنقذ، فتجاريا الحديث، فوقع الإسلام في قلب الأشج، ثم أخذ من منقذ كتاب رسول الله ﷺ وذهب به إلى قومه، فقرأه عليهم، فأسلموا، وأجمعوا المسير إلى رسول الله ﷺ واعْتَلوا ركائبهم، وجدوا في سيرهم حتى أنضوا ركائبهم وأهزلوها من شدة ما عنفوا بها، وأفنوا زادهم، وطووا الأرض تحت إرقال ركائبهم(٣)، وقطعوا سهولها، واقتحموا جبالها، يبتغون الإسلام بين يديه ﷺ استجابة لدعوته لهم في كتابه الذي أرسله إليهم مع أحدهم منقذ بن حبان -رضي الله عنه-.

---

(٣) الإرقال: ضرب من السير. (المجلة)

وكذلك رواية النووي مرجعها إلى رواية محمد بن سعد:

وهذا الكتاب الكريم الذي كان إنسان عين قصة قدوم وفد عبد القيس على النبي ﷺ وهو عين الكتاب الذي جاء ذكره مع شرح مسلم للنووي مبينا سبب وفادة وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ في قصة أشبه بالقصة التي ساقها الكرماني ونقلها عنه الزرقاني، ولعلها هي هي، لا يفصلها عنها فواصل جوهرية في الموضوع، وإنما دخلت عليها زيادات استطرادية لا تخرجها عن مقصودها.

قال النووي وهو يشرح حديث ابن عباس من طريق أبي جمرة: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وكان سبب قدومهم أن منقذ بن حبان أحد بني غنم بن وديعة- بطن من عبد القيس - كان متجره إلى يثرب في الجاهلية، فشخص إلى يثرب بملاحف وتمر من هجر بعد هجرة النبي ﷺ فبينا منقذ بن حبان قاعد إذ مر به النبي ﷺ فنهض منقذ إليه، فقال النبي ﷺ «أمنقذ بن حبان؟ كيف جميع هيئتك وقومك؟» ثم سأله عن أشرافهم، رجل، رجل، يسميهم بأسمائهم، فأسلم منقذ، وتعلم الفاتحة، واقرأ باسم ربك.

ثم رحل منقذ قبل هجر، فكتب النبي ﷺ معه إلى جماعة عبد القيس كتابًا، فذهب وكتمه أيامًا، ثم اطلعت عليه امرأته، وهي بنت المنذر بن عائذ، والمنذر هو الأشج، سماه رسول الله ﷺ به لأثر كان في وجهه، وكان منقذ -رضي الله عنه- يصلي

ويقـرأ، فنكـرت امرأتــه ذلك، فذكرتــه لأبيها المنــذر، فقال: أنكرت بعلي منذ قدم من يثرب، إنه يغســل أطرافه، ويســتقبل الجهــة- تعنــي القبلة- فيحنــي ظهره مرة، ويضــع جبينه مرة، ذلك ديدنه منذ قدم.

فتلاقى الأشج ومنقذ، فتجاريا ذلك- أي أمر منقذ في طهارته وصلاته- فوقع الإسلام في قلب الأشج، ثم سار إلى قومه: عصر ومحــارب بكتــاب رســول الله ﷺ فقــرأه عليهم فوقع الإســلام فــي قلوبهم، وأجمعوا على الســير إلى رســول الله ﷺ، وأعدوا لذلك عدتهم، وعلوا ظهور ركائبهم، وســاروا حتى إذا دنوا من المدينة قال رســول الله ﷺ لجلســائه من أصحابه: «أتاكم وفد عبد القيس، خير أهل المشــرق، وفيهم الأشــج العصري، غير ناكثين ولا مبدلين، ولا مرتابين.

ما جاء في وفد عبد القيس من أحاديث وأحداث:

أحاديث وفادة أشــراف عبــد القيس على النبــي ﷺ قادمين مــن البحريــن، علــى بعــد الشــقة ومخاطــر الطريــق، ووعثاء الســفر، وقلة الزاد، وافتقاد الزاد، وافتقــاد الحملان- أصح ما روي في أحاديث الوفود، ســندًا ومتنًــا، على اختلاف الروايات في الأســلوب والعبارة، ونســج الســياق، وتفاوت في المعاني والحقائق وذكر الأحكام الشــرعية والنظم الاجتماعية، لا تكثر حتى تخل بالسياق، ولا تقل حتى تفقد مزية الوحدة في الاتساق وائتلاف الأســلوب وتقــارب التعبيــر واكتمــال الأداء للمعاني والحقائق.

وقد خرج أحاديث هذا الوفد المبارك الميمون الشيخان: البخاري ومسلم، وأبو داود الطيالسي، والإمام أحمد، وسائر الأجلة الثقات في مؤلفاتهم، وأخرجها البخاري في جامعه الصحيح في مواضع متعددة، تناهز العشرة، وأخرجها مسلم في موضعين :الإيمان والأشربة، وهي مما أجمع عليها أهل السير النبوية.

اختيارنا روايات أحاديث وفد عبد القيس من الصحيح:

ونحن نسوق من هذه الروايات ما يبلغ المقصد. أخرج البخاري في الجامع الصحيح حديثهم تحت عنوان: باب وفد عبد القيس، بأسانيد مختلفة، تنتهي إلى ابن عباس –رضي الله عنهما– من طريق أبي جمرة قال: حدثني إسحاق، أخبرنا أبو عامر العقدي، حدثنا قرة، عن أبي جمرة، قلت لابن عباس: إن لي جرة ينبذ لي فيها نبيذًا، فأشربه حلوا في جر، إن أكثرتُ منه فجالست القوم، فأطلت الجلوس خشيت أن أفتضح، فقال ابن عباس: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال لهم «مرحبا بالقوم غير خزايا ولا الندامي» فقالوا: يا رسول الله، إن بيننا وبينك المشركين من مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في أشهر الحرم، حدِّثْنا بجُمْل من الأمر[٤]، إن عملنا به دخلنا الجنة، وندعو به من وراءنا.

---

(٤) قوله (جُمْل من الأمر) معناه موجز. (المجلة)

قــال ﷺ «آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع، الإِيمان بالله، هل تــدرون ما الإِيمان بالله؟ شــهادة أن لا إلــه إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصــوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم الخمس. وأنهاكــم عــن أربع، مــا انتبذ فــي الدبــاء، والنقيــر، والحنتم، والمزفــت» قــال ابن كثير: هذا رواه مســلم مــن حديث قرة بن خالــد عن أبي جمرة، وله طرق فــي الصحيحين عن أبي جمرة، ثم ذكر عن الطيالسي بتحديث شعبة عن أبي جمرة.

وأخرج البخاري أيضًا تحت العنوان المتقدم حديث هذا الوفد بســند ينتهي إلى أبي جمرة، فقال: حدثني ســليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي جمرة، ســمعت ابن عباس يقول: قــدم وفــد عبد القيس علــى النبي ﷺ فقالوا: يا رســول الله، إنا هذا الحي من ربيعة، وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر، فلسنا نخلص إليك إلا في شهر حرام، فمرنا بأشياء نأخذ بها، وندعو إليهــا من وراءنا، قال: آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع، الإِيمان بالله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا لله خمس ما غنمتم. وأنهاكم عن الدبــاء، والنقير، والحنتم، والمزفت» ويلاحظ أن هذه الرواية لم تذكر الصوم، مخالفة في ذلك الرواية الأولى.

ثم روى البخاري حديثًا أوجز قصة وفد عبد القيس، وأطال في متعلقاتها فقال رحمه الله: حدثني يحيى بن سليمان، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو وقال بكر بن مضر، عن عمرو بن الحارث، عن بكير: أن كريبًا مولى ابن عباس حدثه أن ابن عبد الرحمن بن

أزهر، والمســور بن مخرمة، أرسلوا إلى عائشة -رضي الله عنها- فقالوا: اقرأ عليها الســلام منا جميعًا، وسلها عن الركعتين بعد العصــر فإنا أخبرنا أنك تصليهما، وقــد بلغنا أن النبي ﷺ نهى عنهما، قال ابن عباس: وكنت أضرب مع عمر الناس عنهما.

قــال كريب: فدخلت عليها، وبلغتها ما أرســلوني، فقالت: سل أم سلمة، فأخبرتُهم، فردوني إلى أم سلمة -رضي الله عنها- بمثل ما أرســلوني إلى عائشــة، فقالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ ينهــى عنهمــا، وإنه صلى العصر ثم دخــل عليّ وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار، فصلاهما، فأرسلت إليه الخادم فقلت: قومي إلى جنبه، فقولي: تقول أم سلمة: يا رسول الله ألم أسمعك تنهى عن هاتين الركعتين؟ فإن أشار بيده، فاستأخري، ففعلت الجارية، فأشــار بيده، فاســتأخرت عنــه، فلما انصرف قــال: «يا بنت أبي أمية، ســألت عن الركعتيــن بعد العصر؟ إنه أتاني أناس من عبد القيس بالإســلام من قومهم، فشــغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر، فهما هاتان».

نظرات تأملية فيما اشتمل عليه هذا الحديث من معالم منهجية في التربية السلوكية:

وإنما ذكرنا هذه الرواية، وليس فيها من قصة وفد عبد القيس إلا أنهم جاءوه ﷺ بإســلام قومهم فشــغلوه -صلوات الله وسلامه عليه- عــن الركعتين اللتين بعد الظهر، فهما هاتان اللتان رأيتني أصليهما- لما اشتملت عليه من نماذج وحكم منهجية، وأحكام شرعية تربوية عالية، وشــمائل خلقية، وحسن التأتي في السؤال

وتلقي الجواب، وشـدة الحرص على التعلم والتعليم في مدرسـة النبوة وتنزلات الهداية، وأخذ خدم هذا البيت الأكرم بأرفع الأدب النفسي في التخاطب، والسـفارة بين الأعلين بالحفاظ على أدب الأسـلوب في إيجاز الكلمة المعبرة، وحين تفهم الخدم لما يقال لهن من أدب الخطاب، وملاحظة جو المخاطبة، وما عسى أن يكون في ظلاله من شـغل يمنع من سـرعة الإجابة، مع لطـف الحركة، ولين الأسـلوب، وسـماحة اللفظ، وجمال القالـب الذي انصبت فيه هذه المعاني السامية، والحقائق العالية، مما يجعل من الخادم في أول بيت أسـس ليضع من نماذج الحياة المسـلمة الفاضلة آية من كتاب الإنسـانية الرفيعـة التي افتقد المسـلمون معالمها في بيوتهم بعد غيبة شـمس الهداية المشـرقة بنـور القرآن الحكيم، وراء سـحائب الحضارات المادية المسـعورة التي تتخذ من جنون الغرائز الشـهوية سلطاناً يحكمها بأسياط الإذلال والمهانة، وقد كان الخدمُ يوم كان الإسـلام قيما على حياة المسلمين السلوكية أبناء البيوت وبناتها- أخوة رجالها وأخوات نسائها.

ونحن ننبه على ما جاء في هذا الحديث الشـريف من حقائق الأدب النبيـل عرضًـا في قصة لم يكن المقصود منها أن ترسـم منهجًا تربويًا سـلوكيًا لنوع من الحياة في أشـرف بيت لأشرف أسـرة على الأرض، يجمع -في لحظة حـركات هادئة وكلمات حكيمـة معدودة- أشـعة شـمس الهدايـة في مشـكاة الحقائق الإسـلامية، التي تنزلت من سـماء التأسـي لتكون منـار هداية للسالكين من أجيال الإسلام والمسلمين.

النقطة التي بدأ منها خط هذه المعالم التربوية:

وقد بدأت هذه الآداب النفسية العالية من الحبر العليم ترجمان القرآن، ومدرة الإسلام عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– وكان معه فيها رجلان من أقرانه سنًا، ونبلاً، هما عبد الرحمن بن أزهر، ومسور بن مخرمة الزهريان، وثلاثتهم عنوان زهرة شباب أصحاب سيد المرسلين محمد خاتم النبيين ﷺ.

وجرى الحديث بينهم في قضايا العلم الإسلامي ومشكلاته، وكذلك كانت مجالس أهل العلم من المؤمنين يومئذ، ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم، وهدى إلى هداهم، ومعرفة إلى معارفهم، ويعرض حديثهم لقضية من قضايا تعبدات الشريعة، سمعوا فيها من النبي ﷺ أو ممن سمع منه ﷺ من ذوي الأسنان العالية في مشرق الإسلام حكم الشريعة في شأن القضية التي جرى حديثهم فيها، فاعتصموا به ودرجوا عليه، وإذا بهم يبلغهم أن النبي ﷺ وهو المشرع الذي لا تؤخذ أحكام الشريعة إلا عن طريقه، وكل حكم شرعي أخذ عن غيره فهو رد على من أخذ عنه أو عمل به– عمل على غير ما كان عندهم من علم سمعوه ووقر في قلوبهم، وتكيفت به عقولهم، وجرى عليه تعبدهم، ولكنهم أرادوا أن يكشفوا الغطاء عما عندهم من علم في توافقه على ما بلغهم عن رسول الله ﷺ فلعل الحكم الأول نسخ ولم يبلغهم النسخ، أو لعل ما بلغهم عن النبي ﷺ أولًا وآخرًا لم تصل إليهم تفاصيله،

وقــد يكون في هــذه التفاصيل ما يحل عقدة إشــكال القضية عندهم، فلم يســعهم الســكوت وهــم ورثة الدعــوة إلى الله، وحاملو لواء نشــر الرســالة إلا بعد اليقيــن، وهو أقرب إليهم من ترداد أنفاسهم.

كانت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- هي الخط الأول في إطار معالم هذه التربية المنهجية في رسالة الإسلام:

وهــا هي تــي عالمة الإِســلام، وربيبة الوحي، وخزانة أســرار النبوة، المخصوصة باطلاعها على ما لم يمكن لغيرها أن يطلع عليــه من شــرائع هذا الديــن القيم وهدايته لمكانهــا من متنزل الوحي ﷺ صاحبة الخصائص الربانية، السيدة الجليلة النبيلة، الصديقــة بنت الصديق أم المؤمنين عائشــة -رضــي الله عنها- على قيد خطوات من مجلســهم الشــريف المشرف، ليسألوها عما أشكل عليهم، حتى يأتيهم من عندها برد اليقين.

فأرســلوا إليها الأريب الأديــب مولى ابن عبــاس، وقالوا له: اقرأ عليها الســلام منا جميعًا لأنهم متســاوون في منزلة بنوتهم لهــا، ومتكافئون في منزلة الأمومة منها، فهي أمهم جميعًا، وأم كل مؤمــن منزلة وتشــريفًا، والمؤمنون جميعًــا أبناؤها تعزيزًا وتكريمًا وتشرفًا وتوقيرًا.

كريب معلم من معالم إنسانية الإسلام في تربية الموالي:

وصدع كريب بأمر سيده وصاحبيه، وذهب إلى أم المؤمنين عائشــة -رضــي الله عنهــا- وبلغ ما أرســل به، وكانت عائشــة -رضي الله عنها- تعلم أن عند أم المؤمنين أم ســلمة ما يؤكد ما

عندها من العلم فيما سـئلت عنه، فأرادت أن تجمع إلى علمها علم صاحبتها أم سـلمة، وكان النبي ﷺ عندها في بيتها يصلي بعد العصر، فقالت لرسـول علماء شـباب الصحابة -رضي الله عنهم-: سل أم سلمة.

أم سلمة رضي الله عنها كانت في حكمتها وعبقرية تفكيرها هي خديجة الثانية:

رجع كريب إلى مولاه وصاحبيه فبلغهم ما قالت عائشة، فلم يسـكتوا، قال كريب: فردوني إلى أم سـلمة بمثل ما أرسـلوني إلى عائشـة، فذهب كريب إلى أم سـلمة، وبلغها ما أرسـل به، فأجابـت بما كان عندها من علم، وكان النبي ﷺ سـاعتئذ في بيتهـا يصلي بعد العصر، لكنهـا لم تكن تعلم على وجه اليقين أن مـا كان يصليه النبي ﷺ في بيتها هما ركعتي بعدية العصر، أو صلاة أخرى، والفتوى لا تحل إلا بيقين من العلم، وقد أرادت أم سلمة -رضي الله عنها- هذا اليقين، فقالت- وكريب يسمع: سـمعت النبي ﷺ ينهى عنهما- أي عن الركعتين بعد العصر، وأنـه صلى العصر ثم دخل عليّ وعندي نسـوة من بني حرام من الأنصـار، فصلاهما- أي فصلـى، فظننت أنه ﷺ يصلي ركعتي بعـد العصر اللتين سـمعته ينهى عنهما- وأم سـلمة -رضي الله عنهـا- هـي خديجة الثانيـة في حكمتهـا وعبقريـة تفكيرها، وزكانة عقلها- فلم تتسور محراب العلم، ولكنها تلبثت متأنية لتصـل إلى اليقين وهو بيـن يديها، ورسـول الله ﷺ عندها في بيتها، فأرسلت إليها -رضي الله عنها- خادمتها.

خيوط من رفيع الأدب يلتقطها القلم من معلم المنهج في بيت النبوة:

وهنــا يقف القلم مذهولًا ليلتقط خيوطًـا من رفيع الأدب في بيــت النبوة تمثل نموذجًا من المنهج الســلوكي فيما ينبغي أن تكــون عليه بيوت المســلمين، ســادة وخدمًا مــن رفيع الأدب التربــوي لتعــرف الحياة منهج التربية المنزليــة الذي جاءت به رســالة محمد ﷺ حتى يكون ذلـك المنهج صورة حية في إطار التربية الإسلامية التي تجعل من البيت المسلم المدرسة الأولى لتخريــج أجيال الطفولية المســلمة منذ درجت فــي البيت بين أحضان هذه التربية، حتى تستقيم قناتها وهي تمشي في ركاب الزمن لتكون واقفة على أبواب الشــبوبية الغضة ســوية الجسم والعقــل والــروح، لتصبح نمــاذج مؤمنة في المجتمع المســلم ساعية متحركة في فجاج الحياة المسلمة.

النبــي ﷺ يصلــي بعد العصــر وهو في بيــت أم المؤمنين أم ســلمة -رضي الله عنها- وهذه الصلاة هي إطار هذه القصة التي رســمت خيوطها في دائرته، وأم المؤمنين أم ســلمة -رضي الله عنهــا- مشــغولة بكرائــم من نســوة الأنصار من بني حــرام كن يســتضفنها، وقــد أعظــم الإســلام حــق الضيافة في المؤانســة والملاطفة والإكرام، ومن أحق بأن يكون لذلك أعظم الأسوة من بيت النبوة، ولكن أم المؤمنين أم ســلمة إذ جاءها السؤال وهي على حالها مع ضيفاتها رأت أن تسعف السائل بما لا ينقص من

حق ضيفاتها ليرجع إلى من أرسله بالجواب الشافي، فأرسلت إلى النبي ﷺ وهي لا تعلم إن كان قد أكمل صلاته وانصرف منها- الجارية بعد أن أعدتها لهذه الرسالة العظيمة، فأقرأتها كتاب الحياة المنزلية في بيت النبوة آيات الأدب الرفيع في خطاب سيد الوجود الإنساني محمد ﷺ فقالت لها: قومي إلى جنبه فقولي: تقول أم سلمة: يا رسول الله ألم أسمعك تنهى عن هاتين الركعتين؟ فأراك تصليهما؟ فإن أشار بيده فاستأخري، ففعلت الجارية، فأشار بيده فاستأخرت عنه.

درس من الأدب الرفيع تلقنه أم سلمة لجاريتها فتؤديه هذه الجارية أحسن أداء:

وهنا يقف القلم مزهوًا متعجبًا، يستغرقه التأمل أمام هذا الأدب الرفيع وسمو التربية المنزلية التي لم تعرف بما قامت عليه من تلطف وسماحة إلا في بيوت المسلمين على أنضر عهد في تاريخ الإنسانية.

أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- يرسل إليها ثلاثة من أعلياء شباب الصحابة -رضي الله عنهم- فضلًا وعلما، يسألونها في حكم شرعي فردت عائشة -رضي الله عنها- الرأي فيه إليها، فقالت لرسول سائليها: سل أم سلمة لما تعلم بما عندها من العلم في هذه القضية، وكان النبي ﷺ ساعتئذ في بيت أم سلمة يصلي بعد العصر وعند أم سلمة ضيفاتها من كرائم نسوة الأنصار، وفضليات عقيلات بني حرام، فلم يدعها

أدب الضيافة ومكارم الأخلاق أن تذهب بنفسها إلى النبي ﷺ لتسأله عما سئلت عنه، فأرسلت إليه ﷺ الجارية بعد أن علمتها أدب مقامها منه ﷺ لمخاطبته وإسماعه رسالة سيدتها، فقالت لها: قومي إلى جنبه- أي بقدر ما يسمع كلامها، فلا يتكلف استفهامها، ولا تضطر إلى أن ترفع صوتها حتى يخرج عن سياج أدب الخطاب.

وهذا الأدب الرفيع في مخاطبة النبي ﷺ هو الأدب الذي أدب به القرآن الحكيم الأمة كلها في مخاطبته ﷺ بقوله عز شأنه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (الحجرات: ٢)

أدب الأسلوب ينبغي أن يتسق مع سمو المعاني:

ثم قالت أم سلمة -رضي الله عنها- للجارية: فقولي: بعد أن تحسني مقامك إلى جنبه ليبلغ الحديث مبلغه: تقول أم سلمة يا رسول الله- وهنا موضع تأمل، ينم عن أرفع صور التأدب والتأديب في لطف أسلوب. فإن أم سلمة لم تقل لجاريتها، تقول أم سلمة لك، لأن هذا الأسلوب لا يخلو عن ذرو من يبوسة الخطاب[٥]، ونشفة في مخاطبة المتمازجين المتخالطين في

(٥) ذرو من كذا: قليل منه. (المجلة)

الإحســاس والشــعور، وإنما قالت للجارية ما يرســم لها طريقة إســماع رســول الله ﷺ ما تقصد إسماعه إليه، مع مراعاة الأدب في وداعــة الروح، وخفــض الصوت: تقول أم ســلمة، كأنها لا توجه خطابا إليه ﷺ بل كأنها لا توجه خطابًا إلى أحد، ولكنها تقول ليســمع منها، وهذا تصوير لنموذج من أدب الوحي الذي يتهامــس بــه الملائكــة المقربون فــي بيوت أمهــات المؤمنين اللائــي شــرفهن الله -تعالى- جميعًــا، وأعزهن وأعلى شــأنهن بمكانهن من رســول الله ﷺ فجعل بيوتهن متنزلًا لأرفع نماذج الأدب السلوكي المتحلي به كل من استظل بأسقفها من السادة والخــدم، حتــى كانت البيــوت الكريمة إطارًا تلمــع في أكنافه أفضل الفضائل الإنسانية.

ثم قالت أم ســلمة -رضــي الله عنها- للجاريــة بعد أن تكون قــد قامــت بمراســم الأدب في قيامهــا إلى جانبــه ﷺ طبقًا لما علمتهــا من ذلك: فإن أشــار بيده إشــارة يفهم منهــا أنه ﷺ ما يزال مشــغولًا بصلاته فاســتأخري، وهنا لمحــة تعبيرية تصور أرفع منازل الأدب الأســلوبي في خطاب الأعلياء، إذ قطعت عن فعل الأمر في قولها (فاســتأخري) صلته بمتعلق ما، وهذا أشبه بما في قول أم سلمة: تقول أم سلمة، فكما لم تقل هناك: تقول لك، لم تقل هنا: فاستأخري عنه، لأن ذلك لو كان قد قيل لكان إشــعارًا للجارية بالتزيد في استئخارها والتباعد بموقفها، وهذا غير مقصود.

النبي ﷺ يفصل في قضية سؤال شباب علماء الصحابة:

وانصرف النبي ﷺ من صلاته، وكان قد سمع ما قالت أم سلمة، فقال ﷺ يخاطب زوجه أم المؤمنين أم سلمة –رضي الله عنها– ويرد على تساؤلها فيما سمعت منه من النهي، وفيما شهدته من فعله ﷺ وهو يصلي في بيتها بعد العصر، ليوضح ما سمعت وما شهدت فيما سألت، معلناً لما يقول حتى تسمعه سماع تفقه وعلم، ويسمعه ضيفاتها الأنصاريات، لأن شرعة الأحكام الشرعية العامة هي العلانية والجهر حتى يبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أفقه من سامع– : «يا بنت أبي أمية، سألت عن الركعتين بعد العصر؟» وهذا القول محتمل في ظاهره لأنه يريد منه ﷺ أن سؤالها كان عن الركعتين اللتين صلاهما ﷺ في بيتها، لا بوصف كونهما سنة بعدية العصر، ومحتمل لأن يريد ﷺ الركعتين بوصف كونهما هما الركعتين سنة بعد العصر، اللتين سمعته أم سلمة ينهى عنهما، وكان ابن عباس يضرب عليهما الناس مع عمر، وقد أراد ﷺ أن يبين أن ما سمعته أم سلمة من النهي عن الركعتين بعد العصر باق على حاله لم ينسخ ، وأن الركعتين اللتين رأته يصليهما في بيتها هما الركعتان اللتان بعد الظهر، فقد شغل بمهم من الإسلام عنهما، حتى صلى العصر ودخل بيته عند أم المؤمنين أم سلمة فصلاهما، فهما اللتان رأته يصليهما، ولم يتعارض نهيه عن صلاة الركعتين بعد العصر وصلاته في بيت أم سلمة ركعتين

بعد صـلاة العصـر ، لأن هاتين كانتـا بديلًا عنهما فـي وقتهما بعـد الظهر ، وكون النفل يقضى أو لا يقضى مبسـوط في كتب الفقه واجتهادات أئمة الأمصار من الفقهاء ، لكن النبي ﷺ كان عملـه ديمة ، وإذا عمل من أعمال الخير عملًا كان حريصًا على المحافظة عليه ، فلا يتركه ما أمكنه فعله .

حياة شباب أعلام علماء الصحابة كانت تفتيحًا لأبواب الفكر والعلم:

وهكذا كان سـؤال الثلاثة الأعلام من شباب الصحابة -رضي الله عنهم- بابًا من أبواب العلم ونشـر التشـريع الإسـلامي من الصحابـة عن طريق ابن عباس وصاحبيه الزهريين ، ثم عمّ الأمة بالنشر العام ، وكان ذلك من بركات وفد عبد القيس .

ولئن كنا أطنبنا في التعليق على هذا الحديث فلأن الموضوع الاسـتطرادي حقيـق بما هو أكثـر من ذلك ، لأن مـا نبهنا عليه مـن الآداب السـلوكية في التربية المنزلية أصـل من أصول هذا البحـث الـذي عقد له هذا الكتـاب ، لما فيه مـن لوامع ولوامح منهج رسـالة الإسـلام وتربيته المنزلية ، مـع أن الحديث الذي علقنا عليه لم يكـن من أمهات أحاديث وفادة وفد عبد القيس ، ولكنـه من أجمع جوامعها لألوان من التربية الإسـلامية ، وألوان من نماذج الأحداث التي جاء بها منهج الرسالة الخالدة ، لتكون أسوة تتأسى بها الأجيال المتعاقبة من أبناء الإسلام .

قدوم وفد نصارى نجران

لم يكن للديانة النصرانية في أرض العرب قبل بزوغ شمس الهداية الإسلامية حركة إيجابية حيوية باعتبارها ديانة إلهية الأصل، تتسامى بما في جذورها من الأصل السماوي من ميراث تتعالى به على الوثنية العربية المتهاوية في مهاوي أبطل الأباطيل.

ومن ثم لم يكن للنصرانية بهذا الاعتبار ذكر في إطار الحياة العربية سوى ذكر خافت أشبه بهزاهز ذبالة المصباح الذي أوشك زيته على النضوب[٦].

لقد ربضت هذه النصرانية في ركنين قصيين في طرفي الجزيرة العربية، في جنوبها بنجران على حدود اليمن، وفي شمالها على مشارف الشام، وكان كل من الطائفتين النصرانية الشمالية، والنصرانية الجنوبية يخضع لسلطان نصرانية الروم، وقد اعتزلت نصرانية العرب في ركنيها القصيين الحياة واعتزلتها الحياة، وتركتها تدور حول نفسها تطحن برحاها الهواء المزمجر بعواصف العصبية الدينية الخرساء في الجنوب لدى نصارى نجران، والعصبية المأجورة التي عشعشت وأفرخت في قلوب المرتزقة المقهورين بسياط الاستعباد الروماني السياسي الخادع في الشمال، لدى الغساسنة ومن انساق وراءهم من القبائل العربية في الخضوع لعبودية التبعية المطلقة لسلطان الرومان السياسي، وكلتا الطائفتين: نصارى

(٦) ذبالة المصباح: فتيلته التي تضيء. (المجلة)

الجنوب، ونصارى الشمال كان أصم أبكم عن الحق، لا يعرف هداية يدين بها ويجادل عنها، ولا يبصر نورًا يمشي به في الناس.

خداع الرومان لمتنصرة الشمال:

وجاء الإسلام وهم على حالهم، نصرانية سياسية اتخذها الرومان مصيدة لهؤلاء العرب المتنصرين بعد أن خدعوهم بكثرة العطايا حتى أدخلوهم في نصرانيتهم، ليكونوا دريئة لهم يدفعون بهم موجات الهجوم المندفع من البادية وصحاريها المتناثرة هنا وهناك طلبًا لمنازل العيش ومطالب الحياة، كما يدفعون بهم شر إمارة المناذرة الذين كانوا في تبعيتهم وخضوعهم لسلطان الفرس على غرار الغساسنة في خضوعهم للرومان.

وقد بالغ الرومان في خداع هؤلاء العرب الجوعى، فأسسوا لهم إمارة غسان في الشمال ليكونوا مع سائر عرب الشمال القريبين من روم الشام همزة وصل بكرسي النصرانية الأم في روما، حتى لا يشعر العرب بالأنفة القومية، والنخوة العرقية أن يحكمهم من ليس من جلدتهم، وأغدق الروم على أمراء غسان وزعمائهم فنونًا من الترف ومظاهر الفجور، ورغائب الشهوات القاتلة للمروءة والشموخ، فانخدع أمراء غسان، واتسموا بسمات الملوك، وانخدع بخداعهم من وراءهم من متنصرة القبائل المجاورة لهم.

موقف الروم من نصرانية نجران:

ثم مد الروم أذرعتهم إلى جنوب الجزيرة العربية حيث سلطان الفرس يقبض على زمام اليمن بعد زوال حضارتها العربية

التـي أقامهـا الحميريون والسـبئيون، فجعلوا مـن نجران وهي علـى حدود اليمـن منتجعًا لنصرانيتهم، فأغدقوا على أشـراف نجـران وزعمائها من العرب ألوانًا مـن المظاهر الفاتنة المغرية التي اتخذها هؤلاء الزعماء وسـيلة لتطويع جماهير النجرانيين لهذه التبعية الاستعبادية، بيد أن تبعية نجران لهم لم تكن تبعية سياسية تأخذ مظهر الملك والتأمير، وإنما كانت تبعية عصبية دينيـة كمـا جاء صريحًا فـي كلام أبي الحارث ابـن علقمة أحد متقدمي نصارى نجران مع أخيه بشـر بن علقمة، وهو يرد عليه ويزجره في مسـه لحمـى نبوة محمد ﷺ، حينمـا كبت ناقته، ليفهـم صراحة أن محمدًا ﷺ هو النبي الذي كانوا ينتظرونه، فلما لامه أخوه بشـر على عدم متابعته لرسول الله ﷺ والإيمان به والتصديق برسـالته كشـف له عن وجـه الحقيقة باعترافه أن محمدًا ﷺ نبي ورسـول، وهو المبشر به في كتبهم الذي كانوا ينتظرونه.

كتـاب النبي ﷺ إلـى ملك غسان وموقفـه مـن دعـوة الإسلام:

وبلغتهم دعوة الإسلام ورسالته حين بلغت سادتهم الرومان، كمـا جاء في حديث هرقل عند البخـاري وكتاب النبي ﷺ إليه يدعوه إلى الإسـلام، ولكن هرقل - وهـو القيصر - راوغ وضن بملكـه، وهـو عليم بالحق وصدق رسـول الله ﷺ فـي دعوته، ولكنه لم يقدر له الإيمان، كما كتب ﷺ إلى (ملك) غسـان - الحارث بن أبي شمر، كما سماه جمهور أرباب السير، أو جبلة

بن الأيهم، كما سماه ابن هشام – يدعوه إلى الإسلام، وأرسل ﷺ بكتابه شجاع بن وهب –رضي الله عنه– وكان الغساني مشغولاً بإعداد الهدايا والتحف ليقدمها إلى سيد القيصر، فأقام شجاع ببابه أيامًا لا يأذن له للدخول عليه، وقد أسلم على يدي شجاع أمري حاجب الغساني، وكان في لهفة من الشوق للقاء رسول الله ﷺ، ولكنه كان يخاف الغساني ويرهبه لسطوته وطغيانه.

ولما فرغ الغساني من شغله أذن لرسول رسول الله ﷺ في الدخول فدخل إليه، وسلمه كتاب رسول الله ﷺ، فلما قرأه رمى به وزمجر، وطغى وتجبر، وعلا واستكبر، وقال: من يسلبني ملكي، وأمر بالجموع أن تحتشد له، وأنعل الخيل، وأخذ يتجهز بالسلاح والمؤن والرجال أن محاربة رسول الله ﷺ، وتظاهر بقوته المادية، ليرهب بتكذبه رسول رسول الله ﷺ شجاع بن وهب، ويرهب بتنفجه المتكذب المجتمع المسلم، وقال لشجاع بن وهب: أخبر صاحبك بما ترى، ونسي هذا المأفون أنه ينهض على قدمين مستعارتين، وأنه مقصوص الجناحين، مقلم الأظافر، مسلوب الإرادة لأنه تعبد نفسه وقومه لسيده القيصر، عبودية غلَّت عقله ويديه، فلا يقوى على التحرك إلا بإذن من سيده القيصر، فكتب إليه يخبره بما كان من كتاب رسول الله ﷺ إليه يدعوه إلى الإسلام، وبما كان منه في حق رسول الله ﷺ من التهور والسوء برمي كتابه ﷺ، وما كان منه من الأخذ في التجهز بإعداد الحشود للسير لمحاربة رسول الله ﷺ.

فكتب إليه سيده القيصر بما يخزيه، ويرده إلى ذلة العبودية لسلطانه، وينهنهه وينكر عليه حماقته وسوء تفكيره[7]، ويسترذل تكذباته، وغرور مزاعمه، ويصرفه عن مقصده، بقوله: لا تسر هذا المسير، واله عنه، وطلب إليه أن يوافيه بإيلياء، فخنع (ملك) غسان، وخضع لأمر سيده وتبعثر تنفجه وبأوه، وهوى عنه غروره وتجبره، وتصاغر أمام أمر القيصر وذل، وتبدل انتفاخ أوداجه ضمورا، وتعاليه هونًا، وتشامخه خورًا ورعبًا، ونهوضه انكسارًا مسترخيًا، ويقظته تثاؤبًا منيمًا، واستكباره، ملقًا ومداهنة، وهاهوذا سيده القيصر يرده عن رعونته، فيعود إليه عقله ويستكين ويستسلم، ويهدي إلى رسول الله ﷺ مع رسوله مئة مثقال من الذهب.

وعاد شجاع بن وهب إلى رسول الله ﷺ، وأخبره خبر (ملك) غسان، فقال النبي ﷺ: «باد ملكه» ولم تنفعه شفاعة الذهب، بل صدق الله -تعالى- دعوة رسوله ﷺ في إخباره بزوال ملكه كما زال ملك كسرى حين عتا واستكبر، ومزق كتاب رسول الله ﷺ الذي دعاه فيه إلى الإسلام، فمزق الله ملكه.

ضعف وفادة وفد غسان إلى النبي ﷺ:

ولما استقرت الأمور بعد هذا الموقف من القيصر، ووهت علاقات الغساسنة وسائر القبائل المتنصرة على مشارف الشام بالرومان قدم وفد غسان على رسول الله ﷺ وكانوا ثلاثة نفر، فأسلموا، وقالوا لرسول الله ﷺ: إنا لا ندري أيتبعنا قومنا أم لا؟

(٧) نهنهت الرجل عن الشيء: كففته عنه. (المجلة)

وهم يحبون بقاء ملكهم وقرب قيصر، فأجازهم رسـول الله ﷺ بجوائز وانصرفوا إلى قومهم وكتموا إسلامهم، ولم يتبعهم أحد على الإسلام.

غزوة تبوك أفزعت متنصرة العرب وسادتهم الرومان في الشام:

ولما توجه النبي ﷺ إلى تبوك لغزو الروم، يقود جيشًا عرمرمًا، كثيف الجند عظيم القوة، فزعت منه القبائل المتنصرة فزعًا شديدًا انسيابًا مما دخل على سادتهم الروم من الهلع الذي زلزل أقدامهم، وأرقص الأرض من تحتهم، وشـتت شـملهم، ولم يلق منهم رسول الله ﷺ والذين معه من كتائب الجهاد كيدًا، بل عاد بجيشه موفور العزة بعد أن عقد صلح الجزية مع من جاءه للمصالحة، وكتب لهم كتب الأمـن والأمان ما داموا على الحفـاظ لعهودهم ومواثيقهم لا يغدرون، ولا يظاهرون عدوًا للمسلمين.

هذه إلمامة استطرادية دعا إليها قصدًا البيان لحال النصرانية فـي جزيرة العرب، فكان لابـد من ذكر ملامح هـذه النصرانية في شـمال الجزيرة ليتبين حال نصارى نجـران الذين عني بهم القرآن الكريم، ووفدوا على النبي ﷺ، وجادلوه في شأن عيسى -عليه السلام- فنزل القرآن الكريم بما حجهم.

موقف ملوك حمير اليهود من نصاري نجران:

نجـران بلد قديم متسـع الأرجاء من بلـدان الجزيرة العربية الجنوبيـة على حدود اليمن، كانت فـي الزمن القديم مجموعة كبيـرة من القرى تربو على المئة قرية، وهي على سـبع مراحل

من مكة، مسيرة يوم للراكب السريع -سير العهد القديم- وهي من المدينة المنورة أبعد، وفي إحدى قراها كانت حادثة الأخدود المذكورة في سورة البروج من القرآن الكريم.

وكان اليهود الذي يستوطنون البلاد المجاورة لنجران من اليمن كثرة منظمة في ممالك وأوضاع سياسية واجتماعية ودينية، وكانت فيهم عصبية لدينهم وكراهية شديدة لغيرهم، وفي عهد الأذواء من ملوك اليمن وحكامها غلب الدين اليهودي على هؤلاء فاعتنقوه، وتعصبوا له ضد النصرانية التي كان المتدينون بها مؤمنين إيمانًا حقًا، فاشتدت كراهية لهم، وتفاقم حقدهم عليهم، فأبى عليهم نصارى نجران فاضطهدهم الأذواء، لاسيما ذو نواس الحميري الذي غزا نجران ليرد أهلها من النصارى عن دينهم الحق يومئذ، فاعتصموا بإيمانهم، فصب عليهم ذو نواس العذاب صبًا، وحرقهم أحياء، وأنزل الله -تعالى- في قصتهم على نبيه محمد ﷺ قوله تعالى:

﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ﴿٦﴾ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾
(البروج: ٤- ١٠)

فلما أدخل اليهود التحريف والتبديل لعقيدة التوحيد، وأدخلوا عليهم عقيدة التثليث وتبعيض الإله الحق -جل شأنه-

افتراء على الله -تبارك وتعالى- عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وقد سجل عليهم القرآن الكريم ذلك الكفر الخبيث في قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴾

(الزخرف: ١٥)

يعنون بالجزء عيسى -عليه السلام- إذ زعموا أنه ابن الله، متولد منه.

نظر ومناقشة في كلام الزمخشري:

قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ ﴾ إنه متصل بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم ﴾ (الزخرف: ٩)

أي ولئن سألتهم عن خالق السماوات والأرض ليعترفن به، وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءًا، فوصفوه بصفات المخلوقين، لأن سياق الكلام في أول السورة وإن كان قد جاء مع مشركي العرب، لكنه سيق مساق التوبيخ لهم لأنهم ضاهئوا النصارى في مقولتهم التي شرحها القرآن.

ثم قال الزمخشري: ومعنى من عباده جزءًا أن قالوا: الملائكة بنات الله، فجعلوهم جزءًا له وبعضًا منه، كما يكون الولد بضعة من والده، وجزءًا له بالتولد المادي الذي أدخله عليهم اليهود.

وتفسير الزمخشري ذلك بقولهم: إن الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءًا له وبعضًا منه لا يخلو من تصور فيما يحتمله الكلام؛ لأنه كما يحتمل صدقه على الملائكة وقول مشركي العرب فيهم: إنهم بنات الله - يحتمل أن يصدق على عيسى

عليه السلام وقول النصارى فيه إنه ابن الله، وولد الله والقول بأن الملائكة بنات الله من مقولة مشركي العرب، والقول بأن عيسى -عليه السلام- ابن الله، وولد الله من مقولة النصارى.

استئناس بكلام الرازي:

قال الرازي: في المراد من قوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾ قولان: الأول وهو المشهور، أن المراد أنهم أثبتوا له ولدًا، وتقدير الكلام أن ولد الرجل جزء منه، لأن المعقول من الوالد أن ينفصل عنه جزء من أجزائه ثم يتربى ذلك الجزء ويتولد منه شخص مثل ذلك الأصل، وإذا كان كذلك فولد الرجل جزء منه وبعض منه.

ثم قال الرازي: والحاصل أنهم أثبتوا لله ولدًا.

وهذا الكلام في تفسير (الجزء) بالولد مشعر بأن مجرى الحديث في إبطال مقولة النصارى ببنوة عيسى -عليه السلام- لله بنوة توالد مادي، وهذا أقبح الكفر، وأرذل مقولات الضلال، وذِكْرُ إنكار أن الملائكة بنات الله جاء بعد آية

﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾

كالمقابلِ له، ويجب حمل هذا على مقولة النصارى ليكون الكلام إبطالاً لمقولتي الفريقين، مقولة النصارى ببنوة عيسى -عليه السلام- في قوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾

ومقولة مشركي العرب في قوله:

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾

(الزخرف: ١٦) تفاديًا للتكرار.

كتاب النبي ﷺ إلى أهل نجران

كان نصارى نجران أشد عصبية لنصرانيتهم، وأكثر اعتزالًا للحياة من نصارى غسان والقبائل التي سارت في ركابهم خضوعًا للرومان وتبعية لسلطانهم السياسي.

كتاب النبي ﷺ لأهل نجران كان سبب وفادة وفدهم إليه:

ولما كتب النبي ﷺ إلى الملوك والرؤساء، والأقيال، والأذواء داخل الجزيرة العربية وخارجها من قرب منهم ومن بعد يدعوهم إلى الإسلام، كان النجرانيون فيمن كتب إليهم يدعوهم إلى التصديق برسالته والإيمان بدعوته، وكانت الكتابة إليهم باعثًا لهم على قدوم وفدهم إليه ﷺ.

قال محمد بن سعد في طبقاته: وكتب رسول الله ﷺ إلى أهل نجران، فخرج إليه وفدهم، أربعة عشر رجلًا من أشرافهم وذوي رأيهم، وعند ابن إسحق أن عدد رجال وفدهم كان ستين رجلًا، فيهم العاقب، وهو عبد المسيح رجل من كندة، وأبو الحارث بن علقمة، رجل من ربيعة، وأخوه كرز، وفي رواية الأكثر أن أخاه اسمه بشر، وأنه أخوه لأمه، وابن عمه، وهؤلاء الثلاثة العاقب، وهو أميرهم، وصاحب مشورتهم والذي يصدرون عن أمره، وأبو الحارث أسقفهم وحبرهم وإمامهم، وصاحب مدارستهم، والسيد، وهو صاحب رحلتهم وفي رواية أن السيد هو العاقب.

ثم قال ابن سعد: فتقدم كرز أخو أبي الحارث، وهو يقول:

إلــيــك تــغــدو قــلــقًــا وضــيــنــهــا
مــعــتــرضًــا فــي بــطــنــهــا جنينها
مخالفًا دين النصارى دينُها[٨]

فقــدم على النبي ﷺ ، ثم قدم الوفد بعده ، فدخلوا المســجد عليهــم ثياب الحبرة ، وأردية مكفوفــة بالحرير ، فقاموا يصلون في المسجد نحو المشــرق وأراد الناس منعهم ، فقال رسول الله ﷺ : (دعوهم) تألفًا لهم ، لا إقرارًا لهم على ما هم عليه .

ثــم أتوا النبــي ﷺ فأعرض عنهم ، ولم يكلمهــم ، فقال لهم عثمــان : ذلك من أجل زيكــم هذا ، فانصرفــوا يومهم ذلك ، ثم غدوا عليه بزي الرهبان فســلموا عليه فرد عليهم ، ودعاهم إلى الإسلام فأبوا ، وكثر الكلام والحجاج بينهم وتلا عليهم القرآن ، فقال رســول الله ﷺ : (إن أنكرتم ما أقول لكم فهلم أباهلكم) فانصرفوا على ذلك .

فغــدا عبــد المســيح - وهــو العاقب فــي رواية ابن ســعد - ورجــلان من ذوي رأيهم على رســول الله ﷺ ، فقالوا : قد بدا لنا أن لا نباهلــك ، فاحكــم علينــا بما أحببت نعطــك ونصالحك ، فصالحهــم علــى ألفــي حلة ، ألــف في رجــب وألف فــي صفر ، وأوقيــة ذهــب مع كل حلة من الحلل ، وعلــى عارية ثلاثين درعًا وثلاثيــن رمحًا وثلاثيــن بعيرًا ، وثلاثيــن فرسًــا إن كان باليمن كيد ، ولنجران وحاشــيتهم جوار الله ، وذمة محمد النبي رســول

(٨) الوضين: بطانة منسوجة من السيور، توضع على ظهر البعير، وحين يقال عن الناقة إنها تغدو قلقًا وضينها يكون ذلك كناية عن سرعتها ونشاطها في السير. (المجلة)

الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم، وبيعهم، لا يغير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ولا واقف عن وقفانيته، وأشهد رسول الله ﷺ على ذلك شهودًا من أصحابه.

ورجع وفد نجران إلى بلاده بهذه المصالحة التي قادتهم إلى الرضا بمذلتها وهوانها عصبيتُهم العمياء لنصرانيتهم المحرفة الكفور، ولكن أنامل القدر كانت تجري بقلم الغيب لتخط في صحائف الهداية أسماء من أراد الله هدايتهم ودخولهم في ساحة دينه الحق، دين الإسلام، ومن ثم لم يلبث العاقب والسيد إلا يسيرا بين قومهم حتى رجعا إلى النبي ﷺ فأسلما، وأكرمهما ﷺ، وأنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري.

وأقام أهل نجران على ما كتب لهم رسول الله ﷺ في كتاب مصالحته لهم حتى قبضه الله إليه صلوات الله عليه ورحمته ورضوانه وسلامه.

في رياض كتاب رسول الله ﷺ إلى أهل نجران:

هذه الرواية التي ساق فيها ابن سعد قصة وفادة وفد نجران إلى رسول الله ﷺ، وما وقع منهم وإليهم من الأحداث فيها جاءت هكذا موجزة إيجازًا مخلًا بكثير من التفاصيل التي أوردها جمهور المؤلفين في السيرة النبوية، وهذه القصة أو هذه القضية كانت أحرى بالبسط المحيط بأحداثها وأسبابها في مباديها ونهاياتها من طبقات ابن سعد وهي من أقدم وأرفع مراجع السيرة، لأن هذه القصة نالت من القرآن العظيم عناية

فائقة، إذ نزلت فيها آيات من سـورة آل عمران اسـتغرقت قدرًا عظيمًـا منها فـي حجاج تاريخي، وجدل منطقـي، وضعا أخطر قضيـة في الخلـق والتكوين موضعها من الاقتـدار الإلهي، تلك هي قضية خلق عيسى -عليه السلام- بأسلوبها الإعجازي الذي ارتفعت به إلى ذروة الإطلاق الإرادي لله -جل شـأنه- كما نالت هذه القضية من رسول الله ﷺ قدرًا من الجهد الفكري الإيماني فـي محادثة ومحاجة أشـراف وذوي رأي نصـارى نجران، حتى أسـلم من هؤلاء السادة من أسلم طواعية لقوة الحجاج المعتمد على المنطق القرآني العظيـم، كما نالت هذه القضية الخطيرة أرفـع المـكارم التي عامل بها رسـول الله ﷺ أهـل نجران، فقد عفـا ﷺ عما ألزمتهم به قـوة الحق في الحجاج الـذي دار بينه وبينهـم، وعفا عما ألزمتهم به المـكارم الخلقية إذ طلب منهم النَّصَف في مباهلتهم فكفـوا عنها ورهبوها، وطلبوا المصالحة على حكمه فيهم، فكان ﷺ رفيقًا بهم أشـد الرفق، ولم يطلب منهم ما يئودهم، وكتب لهم أمانًا في ملتهم وأنفسهم وأموالهم، وكل ما يهمهم أمره.

ابن سعد طوى في إيجاز روايته نماذج من معالم منهج الرسالة:

وكثيـرًا من هـذه الحقائق أوردها الثقات فـي رواياتهم، وفي طليعـة هـؤلاء الثقـات صاحبـا الصحيحيـن علـى اختصارهما الشـديد في ذكر الأحـداث، وهي حقائق تذكر أمـورًا من معالم منهج رسـالة الإسـلام تعتبر نماذج في إطار التربية الإسـلامية،

ومجابهة الأفكار التي تتعلق بالعقيدة وعدم التهرب منها، فهي دعائم لنشر الدعوة وتبليغ الرسالة، توجب على القائمين بها من الدعاة تعمق الدراسة والبحث في كل ما يحيط العقيدة بقوة العقل، ومعرفة ظواهر الخلق والتكوين، ومعرفة أساليب الحجاج المنطقي والجدل العقلي القائم على أحسن طرق الاستهداء إلى الحق.

روى البخاري من حديث حذيفة قال: حدثنا عباس بن الحسين، حدثنا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه - لم يجيئا إليه ﷺ للملاعنة، وإنما جاءا في رياسة وفد قومهما استجابة لكتابه ﷺ الذي كتبه إليهم يدعوهم إلى الإسلام - فلم يقع لهم التوفيق بعد طول الكلام والحجاج، فعرض عليهم -صلوات الله عليه- المباهلة قيامًا بأمر الله -تعالى- له في قوله تعالى:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ أي في خلق عيسى -عليه السلام- ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١) وهذا نص صريح في أن طلب المباهلة لم تكن في إرادتهم التي جاءوا بها إلى النبي ﷺ، وإنما كان طلب المباهلة بأمر من الله -تعالى- لرسوله ﷺ بعد أن قامت الحجة عليهم ولزمهم مقتضاها في خلق وتكوين عيسى -عليه السلام- وأنه في هذا الخلق والتكوين كمثل آدم الذي خلق من التراب بغير أم ولا

أب، وهم مقرون بخلق آدم على هذه الصورة الإعجازية التي ليس لها مرجع إلا اقتدار الله -تعالى-، ومطلق مشيئته وتصرفه في ملكه كما يشاء ويختار، ثم قال البخاري وهو يسوق تتمة حديث حذيفة: قال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيًا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا أمينًا، لا تبعث معنا إلا رجلًا أمينًا، فقال ﷺ: (لأبعثن معكم رجلًا أمينًا حق أمين)، فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ فقال: (قم يا أبا عبيدة بن الجراح)، فلما قام أبو عبيدة قال رسول الله ﷺ: (هذا أمين هذه الأمة).

رواية البيهقي أوسع الروايات وأوفاها بأحداث القصة:

وقد أورد الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة قصة وفد نجران وافية بأسباب قدوم هذا الوفد على رسول الله ﷺ، مفصلة للأحداث في سياق متسق الأسلوب والأداء، ونحن نسوق رواية هذا الإمام الحافظ لما جمعته من معالم منهج الرسالة في أحداثها وآثارها، وقد ندخل عليها ما نجده عند غير البيهقي مما يتصل بها في حقائق وقائعها، وقد اعتمد على هذه الرواية ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية.

قال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل، قالا: حدثنا أبو العباس، محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بكير، عن سلمة بن يسوع، عن أبيه، عن جده - قال يونس وكان نصرانيًا فأسلم - إن رسول الله ﷺ كتب إلى نجران قبل أن ينزل طس سليمان - أي سورة النمل.

نص كتاب رسول الله إلى أهل نجران في رواية البيهقي:

(باسم إله إبراهيم، وإسحق، ويعقوب، من محمد رسول الله إلى أسقف نجران: سلم أنتم، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، أما بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم آذنتكم بحرب، والسلام).

حكمة افتتاح الكتاب إلى أهل نجران بصورة هذه التسمية والتحميد:

وإنما بدأ رسول الله ﷺ كتابه بهذه البداية في قوله: «باسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب» ثم جرى عليها في التحميد تألفًا لهؤلاء القوم الذين كانوا يدينون بالنصرانية في عصبية متشددة، وكانوا يعظمون إبراهيم خليل الله وولده إسحق، وحفيده يعقوب عليهم السلام، وإظهارًا لخصيصة رسالته ﷺ في الإيمان بجميع الرسل وتعظيمهم، ولأن التسمية في الرسائل والكتب لم تنزل إلا بعد نزول سورة النمل وقصة سليمان -عليه السلام- مع ملكة سبأ، إذ كتب إليها بها في صدر كتابه إليها يدعوها إلى الإسلام، ولهذا جاء في هذا الحديث أن كَتْبَه ﷺ لأهل نجران كان قبل أن ينزل طس سليمان، وكان ﷺ قبل ذلك يكتب في كتبه ورسائله كِتَابه (باسمك اللهم) كما تدل عليه محاورة قصة معاهدة الحديبية.

فزع أسقف نجران حين قرأ كتاب رسول الله ﷺ:

فلما أتى الأسقفَّ كتابُ رسول الله ﷺ فقرأه فظع به، وذعر ذعرًا شديدًا، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل

بــن وداعة، وكان من همــذان – ولـم يكـن أحــد يدعى إذا نزلت معضلــة قبله، لا الأيهـم – كذا ضبطه الزرقاني بالخط والحروف – أي باليــاء آخر الحروف الهجائية – ولا الســيد، ولا العاقب، فدفع الأســقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شــرحبيل فقرأه، فقال الأســقف: يا أبا مريم، ما رأيك؟ فقال شــرحبيل: قد علمت ما وعــد الله إبراهيم في ذرية إســماعيل من النبــوة، فما يؤمنك أن يكون هذا هو ذاك الرجل؟ ليس لي في النبوة رأي، ولو كان أمر من أمور الدنيا لأشــرت عليك فيه برأي، وجهدت لك، فقال له الأســقف: تنح فاجلس، فتنحى شرحبيل فجلس ناحيته، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران، يقال له: عبد الله بن شرحبيل – وهــو مــن ذي أصبح، من حمير – فأقرأه الكتاب، وســأله عن الــرأي، فقــال له مثل قــول شــرحبيل، فقال له الأســقف: تنح فاجلــس فتنحــى، فجلس ناحيته، وبعث الأســقف إلى رجل من أهــل نجران يقال له جبار بن فيض، مــن بني الحارث بن كعب، أحــد بني الحماس، فاقرأه الكتاب، وســأله عن الرأي فيه، فقال له مثل قول شــرحبيل وعبد الله، فأمره الأســقف فتنحى فجلس ناحيته.

فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعًا أمر الأسقف بالناقــوس فضرب به، ورفعت النيران والمُســوح في الصوامعٍ، وكذلــك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهــار، وإذا كان فزعهم ليلًا ضربوا بالناقوس ورفعت النيــران في الصوامع – في العبارة قلق لمــا فيها من التكــرار – فاجتمع حين ضــرب بالناقوس ورفعت

النيـران والمســوح أهل الوادي أعلاه وأسـفله، وطـول الوادي مسـيرة يوم للراكب السـريع، وفيه ثلاث وسـبعون قرية، ومئة ألف مقاتل، فقرأ الأسـقف عليهم كتاب رسول الله ﷺ وسألهم عـن الـرأي فيه، فاجتمـع رأي أهل الـرأي منهم علـى أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني، وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي، وجبار بن فيض الحارثي، فيأتوهم بخبر رسول الله ﷺ.

أسماء وأحداث لم تذكر في غير رواية البيهقي ومن تابعه من الرواة:

وواضـح أن سـياق البيهقـي فـي ذكر شـرحبيل بـن وداعة وصاحبيـه، ومـا ذكر في هذا السـياق من الأحـداث - وهو قدر كبير اشـتمل على أمـور مهمة لم يذكر في غيـر دلائل البيهقي فيما نعلم - ومن هنا تظهر القصة في سياق البيهقي وكأنها قصة أخرى غير التي ذكرها ابن سعد في طبقاته، ورواها البخاري في جامعـه، لكنا لم نجد أحـدًا من الرواة لأحداث السـيرة النبوية تنبه إلى ذلك فنبه عليه، ليكون مجالاً للنظر.

وإلا فأين العاقب، والسـيد، وأبو الحـارث الذين وصفوا في سـياق غير البيهقي بأنهم أشرف أشرافهم وأئمتهم، وأصحاب الـرأي فيهم الذين لا يصدرون إلا عن رأيهم، والذين قالت فيهم رواية البخاري عن حذيفة أن اثنين منهما: العاقب والسـيد جاءا يلاعنان رسـول الله ﷺ، ثـم نكصا ورجعا راضييـن بالدنية في المصالحـة، وعادا مـع الوفد إلـى قومهما، ولم يلبثـا إلا قليلا حتى أسـلما وقدما على رسـول الله ﷺ مسـلمين، وأقاما عنده

بالمدينة، وأنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري، وبقيا على ذلك حتى قبض رسول الله ﷺ، فتولاهما بعده الصديق أبو بكر بالإكرام وحسن الرعاية.

إعراض النبي ﷺ عن الوفد لزخرفة زيهم:

قال البيهقي: فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللا يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ، فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهارًا طويلًا فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنهما- وكانوا يعرفونهما فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه، فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهارًا طويلًا فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما؟ أترون أن نرجع؟ فقال عثمان وعبد الرحمن لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم، فقال علي لعثمان وعبد الرحمن: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودوا إليه، ففعلوا، فسلموا فرد سلامهم، ثم قال ﷺ: (والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم).

ثم ساءلهم النبي ﷺ وساءلوه، فلم تزل به وبهم المساءلة حتى قالوا: ما تقول في عيسى، فإنا نرجع إلى قومنا، ونحن

نصارى، ليسرنا إن كنت نبيًا أن نسمع ما تقول فيه؟ فقال رسول الله ﷺ: (ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى) فأصبح الغد وقد أنزل الله -عز وجل- هذه الآية:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾

(آل عمران: ٥٩ - ٦١)

شبهة النصارى وإبطال القرآن لها بآية واحدة من أقصر آياته:

وفي حديث ابن عباس عند ابن أبي حاتم أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ فقال ﷺ: (من هو) قالوا: عيسى تزعم أنه عبد الله، فقال ﷺ: (أجل) قالوا: فهل رأيت مثل عيسى؟ أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاءه جبريل، فقال له: قل لهم إذا أتوك:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾

(آل عمران: ٥٩، ٦٠)

هذه المساءلة التي دارت في الحوار بينهم وبين رسول الله ﷺ هي لب قصة وفد نجران، وهي التي عُني بها القرآن العظيم،

فذكرهـا في سـورة آل عمـران، ولكنها لم تذكر فـي الروايات الأخرى عند ابن سعد ومن تابعه ولا في الصحيحين، وهذا كثير في مسلك الذين ألفوا في أحداث السيرة النبوية.

فلمـا أصبح رسـول الله ﷺ الغـد بعدما أخبرهـم الخبر أقبل مشـتملًا على الحسـن والحسـين في خميل له، وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنـة وقال لابنيه وأمهما الزهراء: (وإذا دعوت فأمنوا).

شهادة أسقف نجران:

فقال أسـقفهم عندما رآهم: إني لأرى وجوهًا لو سألوا الله أن يزيـل جبـلًا من جباله لأزاله، ثم قال لأصحابـه من رجال الوفد: فـلا تباهلوا فتهلكـوا، ولا يبقى على وجـه الأرض نصراني إلى يـوم القيامة، والله لقد عرفتم نبوته، ولقـد جاء بالفصل في أمر صاحبكـم - أي عيسـى عليه السـلام - فوالله ما باهـل قوم نبيًا إلا هلكـوا، فـإن أبيتـم إلا دينكم فوادعـوا الرجـل وانصرفوا، فقالوا لرسول الله ﷺ: يا أبا القاسم لا نلاعنك، فقال لهم ﷺ: (فأسـلموا يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم) فأبوا، فقـال لهـم ﷺ: (فإني أنذركـم) فقالوا: ما لنـا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك فصالحهم.

وفي رواية البيهقي أن شـرحبيل بن وداعة قال لصاحبيه: عبد الله بن شرحبيل الأصبحي، وجبار بن فيض الحارثي: قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي،

وإنـي والله أرى أمرًا ثقيلًا، والله لئـن كان هذا الرجل ملكًا متقويًا فكنـا أول العرب نطعن فـي عيبته، ونرد عليه أمره، لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة، وإنا أدنى العرب منهم جوارًا، ولئن كان هذا الرجل نبيًا مرسـلًا فلاعناه فلا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك.

رفق رسول الله ﷺ بأهل نجران بعد أن فوضوا إليه الحكم في مصالحتهم:

فقال لـه صاحباه: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال شـرحبيل: رأيي أن أحكمه فإني أرى رجلًا لا يحكم شـططًا أبدًا، فقال له صاحبـاه: أنت وذاك، فتلقى شـرحبيل رسـول الله ﷺ، فقال لـه: إني رأيت خيرًا من ملاعنتك، فقال ﷺ: «وما هو؟» فقال شـرحبيل: حكمك اليوم إلى الليل، وليلتك إلى الصباح، فما حكمـت فينـا فهو جائز، فقـال رسـول الله ﷺ: «لعل وراءك أحدًا يثرِّب عليك» فقال شـرحبيل: سـل صاحبـي، فقالا: ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شـرحبيل، فرجع رسـول الله ﷺ فلم يلاعنهم، حتى إذا كانوا الغد أتوه، فكتب لهم مترفقًا بهـم كتاب مصالحتهم، وقـد قدمنا نصه، وجـاء في ديباجته قول رسـول الله ﷺ: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب محمد النبي الأمي رسول الله لنجران أن كان عليهم حكمه في كل ثمرة، وكل صفراء وبيضاء، ورقيق فأفضل عليهم، وترك ذلـك كله على ألفي حلـة، في كل رجب ألـف حلة، وفي كل صفر ألف حلة).

حوار بين أسقف نجران وأخيه بشر الذي أسرع إلى الإسلام:

فلما قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران، ومع الأسقف أخ له من أمه، وهو ابن عمه من النسب، قال بشر بن معاوية - سماه ابن سعد ومن تبعه (كرز بن علقمة) فجعله أخًا نسيبًا للأسقف، وكناه أبا علقمة - فدفع الوفد كتاب رسول الله ﷺ إلى الأسقف، فبينما هو يقرأ وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كَبَتْ ببشر ناقتُهُ، فتعَّس بشر، غير أنه لا يكني عن رسول الله ﷺ، فقال له الأسقف عند ذلك: قد والله تعست نبيًا مرسلًا، فقال له بشر: لا جرم لا أحل عنها عقدًا حتى آتي رسول الله ﷺ، فضرب بشر وجه ناقته نحو المدينة، وثنى الأسقف ناقته عليه فقال له: افهم عني، إنما قلت هذا ليبلغ عني العرب مخافة أن يروا أنا أخذنا حقه - أي قبلنا دعوته - أو رضينا بصوته، أو نخعنا لهذا الرجل بما لم تنخع به العرب، ونحن أعزهم، وأجمعهم دارًا.

فقال له بِشْرٌ: لا، والله لا أقبل ما خرج من رأسك أبدًا، فضرب بشر ناقته وهو مولٍ الأسقف ظهره يرتجز فيقول:

إليك تغدو قلقًا وضينها
معترضًا في بطنها جنينها
مخالفًا دين النصارى دينُها[٩]

حتى أتى رسول الله ﷺ، وبقي معه حتى قتل بعد ذلك

(٩) سبق التوضيح في صفحة ٤١.

وقصة هذا الرجز، وما ذكر في سببه مما وقع بين الأسقف وأخيه بشر، وإقرار الأسقف بنبوة رسول الله ﷺ، وتصديقه برسالته، ووقوعه في قلب أخيه بشر، وتوجهه إلى رسول الله ﷺ، وإسلامه بين يديه، وبقائه عنده حتى قتل بعد ذلك من مواضع القلق والتشويش، وتفكك الأسلوب في سياق محمد بن سعد، بيد أنها في هذه الرواية سوية السياق، منتظمة الأسلوب، متسقة الصياغة، مستقيمة الأداء.

قصة الراهب ابن أبي شمر الزبيدي وغلبة الأقدار الإلهية عليه:

ودخل الوفد إلى نجران، فأتى الراهب ابن أبي شمر الزبيدي، وهو في رأس صومعته، فقالوا له: إن نبيًا بعث بتهامة، وذكروا له ما كان من وفد نجران إلى رسول الله ﷺ، وأنه ﷺ عرض عليهم الملاعنة، فأبوا، وأن بشر بن معاوية دفع إليه فأسلم.

فقال الراهب: أنزلوني وإلا ألقيت نفسي من هذه الصومعة، فأنزلوه وتجهز ليلحق برسول الله ﷺ، وأخذ معه هدية، وذهب إلى رسول الله ﷺ، منها هذا البرد الذي يلبسه الخلفاء وقعبًا وعصًا، وأقام مدة عند رسول الله ﷺ، يسمع الوحي ثم رجع إلى قومه، ولم يقدر له الإسلام، ووعد أنه سيعود، فغلب على أمره ولم يعد حتى توفي رسول الله ﷺ.

وفي بعض الروايات أن الأسقف أبا الحارث، ومعه السيد والعاقب، أتوا رسول الله ﷺ في وجوه من أشراف قومهم، فأقاموا عنده ﷺ يسمعون ما ينزله الله عليه من الوحي، ثم عادوا إلى

بلدهم، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابًا فيه جوار لهم ومصالحة وتأمين على ما كان لهم من وظائف في ملتهم، وهو فيما ذكر فيه مخالف لنص كتاب المصالحة السابق، ونصه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي للأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل وكثير، جوار الله ورسوله، لا يُغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم لا سلطانهم، ولا ما كانوا عليه من ذلك، جوار الله ورسوله أبدًا ما أصلحوا ونصحوا عليهم غير مبتلين بظلم ولا ظالمين».

وعند ابن إسحاق أن وفد نجران كانوا ستين راكبًا، يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم، ثم سرد أسماء هؤلاء الرؤساء وذكر فيهم العاقب، واسمه عبد المسيح، والسيد، واسمه الأيهم، وفي هذه التسمية مخالفة لما ذكره جمهور مؤلفي السيرة النبوية، ثم ذكر ابن إسحق أبا الحارث بن علقمة، وهؤلاء الثلاثة هم الذين يئول إليهم أمر الوفد، فالعاقب كان أميرهم، وذا رأيهم، وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، والسيد، وكان ثمالهم وصاحب رحلهم[10]، وأبوحارثة بن علقمة، وكان أسقفهم وخيرهم، وهو رجل من العرب من بكر بن وائل، ولكن دخل في دين النصرانية، فعظمته الروم وشرفوه، وبنوا له الكنائس، وَمولوه وأخدموه لما يعرفون من صلابته في دينهم.

---

(١٠) يقولون (فلان ثمال قومه) أي غياث لهم عند الشدائد. (المجلة)

وكان أبوحارثة يعرف أمر رسـول الله ﷺ، ولكن صده الشـرف والجـاه عن اتبـاع الحق، وفي رواية يونس بن بكير عن شـيخه ابن إسحاق أن أبا حارثة كان أسقفهم، وصاحب مدارستهم، وكانوا قد شـرفوه فيهم، ومولوه، وأكرموه، وبسـطوا له الكرامات، وبنوا له الكنائس، لما بلغهم عنه من علمه، واجتهاده في دينهم.

ثـم قالت هـذه الرواية: ولمـا توجه الوفد مـن نجران جلس أبوحارثـة علـى بغلة له، وإلـى جنبه أخ يقال له كُـرز بن علقمة يسـايره، إذ عثـرت بغلة أبـي حارثة، فقال كـرز: تعس الأبعد ـ يريـد رسـول الله ﷺ ـ فقـال أبوحارثة: بل أنت تعسـت، فقال كرز: ولم يا أخي؟ فقال: والله إنه للنبي الذي كنا ننتظره.

فقـال له كرز: وما يمنعك وأنـت تعلم هذا؟ فقال أبوحارثة: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرفونا، ومولونا، وأخدمونا، وقد أبوا إلا خلافـه، ولو فعلـت نزعوا منا كل ما ترى، فأضمر عليها منه أخوه كرز حتى أسلم بعد ذلك.

وفـي رواية يونس بن بُكير هذه مخالفات للروايات التي جاء بها رواتها عن غير محمد بن إسحاق شيخ يونس بن بكير، وقد نبهنا على نحو هذا من المخالفات فلا حاجة لإعادتها.

تأمل وتنبيه على هامش روايات قصة وفد نجران:

الـذي ينظـر فـي روايـات قصـة وفـد نجـران، وما جـاء في هـذه الروايـات المتكاثـرة مـن أحـداث وأحاديث ومسـاءلات ومحاورات، وأسماء وأوصاف وشخصيات، وأسباب ومسببات، وعوامل ومراجعات، ومواقف وآراء مختلفة ـ نظر تأمل فاحص لا

يستطيع أن يباعد بين خطرات تذهب وتجيء إلى ذهنه وأفكاره، وبين ما يراوده من هزاهز فكرية أشبه ما تكون بالشك في وحدة القصة التي تذكرها هذه الروايات مختلفة الأسباب، والأحداث التي يزعم كل راوٍ أنها هي وقائع القصة مع ما بينها من اختلاف عريض مضطرب في أسماء الأشخاص ونصوص الكتب التي يقولون إن النبي ﷺ أمر بكتابتها لأهل نجران، أمانا ومصالحة لهم على الشروط التي يذكرها الرواة مختلفة الأوضاع والنتائج.

ولو قال قائل بعد استيعابه لما يمكن له من المراجع والمصادر التي عنيت بهذه القصة في رواياتها المختلفة أن سياق هذه القصة في أساليب الروايات المتعددة المختلفة يوحي بأنها قصص متعددة، لكل قصة أحداثها ووقائعها وأسبابها وأشخاصها، لما ثرّب عليه أحد بوجه من الحق القاطع الذي لا يرد[١١]، ولكنا لم نجد من قال بالتعدد.

وهذا الاهتزاز الفكري المتردد بين خطرات الفكر والظن الذي لم يبلغ أن يكون علمًا ليس في يدنا دليل عليه إلا تباعد ما بين سياقات الروايات واختلافها في أمور تعتبر ركائز للقصة كلها.

وقد حاولنا قدر جهدنا المستطاع أن ننظر فيما تيسر لنا من مراجع القصة ومصادرها الأصيلة، وجمعنا من رواياتها ما ظننا أنه لم يفته شيء من مهماتها، فأثبتناه في مناسبته مع ما تضمنه من معالم منهج الرسالة.

ولم نسوغ لقلمنا أن يهجم على رد رواية من روايات القصة إلا

---

(١١) ثرب عليه كذا: لامه عليه. وأصل الثِرب شحم رقيق يغطي الكرش والأمعاء (المجلة)

بعـد نقدهـا بالحجة البينة، لأن رد الروايات ولا سـيما إذا كانت من تخريج أعلياء الثقات المتشـددين في قبول الأسـانيد، ما لم تعارض رواياتهم قاطعا أعلى منها مثل ما ذكرنا في حديث حذيفة عنـد البخاري: أن العاقب والسـيد جاءا لملاعنة رسـول الله ﷺ فإنه معارض لنص القرآن الحكيم في قوله تعالى:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١) أي حاجك في خلق عيسي -عليه السلام-.

المقتضي أن الله -تعالى- بعد أن أوحى إلى نبيه ﷺ بالحجة القاطعـة والقـول الفصل في خلق عيسـي -عليه السـلام- أمر رسـوله ﷺ أن يدعو رؤسـاء وفد نجران إلـى الملاعنة إن لجوا عنـادا في باطلهـم، ومنعتهم عصبيتهم لملتهـم من قبول الحق والدخول في الإسلام.

ولـو أن باحثـا أتيح لـه أن يجمع بين الحديـث ونص القرآن العظيـم بتأويل سـائغ غيـر متعسـف لحمدنا له مسـلكه، لأن مسـلك الجمع بيـن النصوص المتعارضة الثابتة أقوم وأسـد في شـرعة العلم والمعرفـة من الجرأة على رد روايـات الثقات، مع اعتقادنا أنهم غير معصومين عن الأوهام والخطأ.

وفد طيء وقصة عظيمَيهم
زيد الخيل، وعدي بن حاتم

أحداث هذا الوفد وأحاديثه وما فيها من معالم منهج الرسالة:

ذكر السهيلي في الروض برواية أبي علي البغدادي، قال: قدم وفد طيء، فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد، ودخلوا وجلسوا قريبًا من النبي ﷺ، حيث يسمعون صوته، فلما نظر إليهم ﷺ قال: «إني خير لكم من العزى، ومن الجمل الأسود الذي تعبدون من دون الله، ومما حازت مناعٍ من كل ضار غير نفاع» فقام زيد الخيل، وكان من أعظمهم خلقًا وأحسنهم وجهًا، فقال له النبي ﷺ وهو لا يعرفه: «الحمد لله الذي أتى بك من حَزْنك وسهلك، وسهل قلبك للإيمان» ثم قبض على يده، فقال: «من أنت؟» قال: أنا زيد الخيل من مهلهل، أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك عبده ورسوله، فقال له رسول الله ﷺ: «بل أنت زيد الخير، ما خبرت عن رجل قط شيئًا إلا رأيته دون ما خبرت عنه غيرك» فبايعه وحسن إسلامه.

وقال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيء، وفيهم زيد الخيل، وهو سيدهم، فلما انتهوا إليه كلموه، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا، فحسن إسلامهم.

وقال رسول الله ﷺ: «ما ذكر رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ الذي فيه» ثم سماه رسول الله ﷺ «زيد الخير» وقطع له أرضين

فــي بلده، وكتب له بذلك كتابًا، فخرج من عند رســول الله ﷺ راجعًــا إلــى قومه، فقال رســول الله ﷺ: «إن ينــج زيد من حمّى المدينــة..» ـ هذا شــرط محــذوف الجواب، ويقــدر جوابه بما يلائم المقام ـ فلما انتهى زيد إلى ماء من مياه نجد يقال له فردة أصابته الحمى، فمات هنالك، وقال حين أحس بالموت:

أمُـرتَـحِـلٌ قـومـي الـمـشـارقَ غـدوةً
وأُتــــرك فــي بـيـت بــفــردةَ مُـنـجـدِ

ألا رب يــوم لــو مــرضــتُ لـعـادنـي
عـوائـد مَــنْ لــم يُـبْـرَ منهن يَجْهَد

ولما بلغ الخبر امرأته جزعت عليه جزعًا شـديدًا، وعمدت إلى ما كان معه من الكتب فحرقتها بالنار دون أن تعرف ما فيها جهلًا منها وغفلة عن قدرها.

واختصر ابن سعد هذه الرواية التي ذكرها عن شيخه الواقدي عن أشــياخ من طــيء قالوا: قدم وفد طيء على رســول الله ﷺ، خمسة عشر رجلًا، رأســهم زيد الخيل، وهو سيدهم وسريهم، فدخلوا المدينة، ورسول الله ﷺ في المسجد، فعقلوا رواحلهم بفنــاء المســجد، ثــم دخلوا فدنــوا من رســول الله ﷺ، فعرض عليهم الإســلام فأســلموا، وجازهم ﷺ بخمس أواق فضة، كل رجل منهم، وأعطى زيدَ الخيل اثني عشر أوقية ونشّا وسماه زيد الخير[12].

وكان في الوفد رجل، يقال له: وزر بن سدوس، أبى أن يسلم

---

(١٢) النشّ: نصف أوقية. أنظر الصحاح. (المجلة)

أنفة جاهلية وقال: إني أرى رجلًا يملك رقاب العرب، والله لا يملك رقبتي عربي أبدًا، ثم لحق بالشام وتنصر.

وقد أبعد النجعة مَنْ ذَكَر زيد الخيل في المؤلفة، لأن هذا الوصف لم يعرف إلا بعد غزوة حنين حين أعطى النبي من غنائمها الغامرة قومًا من رءوس قريش الطلقاء، ومن على شاكلتهم من زعماء القبائل، يتألفهم على الإسلام المئين وما فوقها وما دونها، وغزوة حنين إنما كانت في السنة الثامنة بعد فتح مكة، وقبل غزوة تبوك، وقدوم زيد الخيل على النبي ﷺ على رأس وفد قومه وإسلامه وإسلامهم كان في سنة تسع وهي سنة الوفود، وقد نقل هذا الخطأ الحافظ ابن حجر عن تلقيح ابن الجوزي في سرده أسماء المؤلفة قلوبهم.

ولعل الشبهة في عد زيد الخيل من المؤلفة دخلت على ابن الجوزي وقبلها ابن حجر مما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد أن علي -رضي الله عنه- بعث للنبي ﷺ بذهبية في أديم، فقسمها ﷺ بين الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وعلقمة بن علاثة، وزيد الخيل، والثلاثة المذكورون في الخبر مع زيد الخيل كانوا من المؤلفة، فظن من شهد ذلك أو سمعه أن ذكر زيد معهم، وأنَّ أخذه حظًا من الذهبية دليل على أنه مثلهم من المؤلفة، وزيد بمقتضى رواية وفوده على رأس وفد قومه لم يمكث عند رسول الله ﷺ إلا ريثما أسلم وأسلم معه رجال الوفد إلا وزر بن سدوس الذي لم يقبل الإسلام، وتنصر بالشام، حتى رجع بوفده ومات بالطريق عند ماء فردة كما قدمناه، ولعل

ذهبيــة عليّ -رضــي الله عنه- وصلت النبــي ﷺ قبل رحيل زيد الخيل ووفده، فشــهد مجيئها في حضور مَنْ ذكر معه، فقسمها بينهم.

ومــن حديــث سُــنَين مولــى رســول الله ﷺ عند ابــن عدي - وضعفه - وعند ابن شــاهين قال: كنا عند رســول الله ﷺ، فأقبل زيــد الخيــل راكبًا حتى أنــاخ راحلته، فقال: يا رســول الله، إني أتيتــك من مســيرة تســع، أصهبــت راحلتي، وأســهرت ليلي، وأظمــأت نهاري، أســألك عــن خصلتيــن أســهرتاني، فقال له ﷺ: «ما اســمك؟» قال: أنا زيــد الخيل قال ﷺ: «بل أنت زيد الخير، فاسأل» قال: أسألك عن علامة الله -تعالى- فيمن يريد، وعلامتــه فيمــن لا يريد؟ فقــال ﷺ: «كيف أصبحــت؟» قال: أصبحت أحب الخير وأهله، ومن يعمل به وإن عملت به أيقنت بثوابــه، وإن فاتنــي منه شــيء حننت إليه، فقال لــه النبي ﷺ: «هــذه علامته فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد ضد ذلك، ولو أرادك بالأخرى هيأك لها، ثم لم يبال من أي واد هلكت».

وظاهر هذه الروايات أن قدوم وفد طيء مع سيدهم زيد الخيل علــى النبــي ﷺ لم يكن إجابة لكتاب كتبــه النبي لهم يدعوهم فيه إلى الإِســلام كما كان ســبب وفود غيرهم من قبائل العرب، أو بعث ســرية إليهم تغزوهم إذ لم يسلموا، وإنما كان قدومهم باختيارهم، حين سمعوا بوفادة وفود العرب عليه ﷺ سنة تسع ودخول الناس في دين الله أفواجًا.

بيــد أن أبا جعفرٍ الطبري ذكر فــي تاريخه من طريق يزيد بن

رومان فقال: وفي هذه السنة سنة تسع ـ وهي سنة الوفود ـ وجَّه النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في سرية إلى بلاد طيء في ربيع الآخر، فأغار عليهم فسبى، وأخذ سيفين كانا في بيت الصنم يقال لأحدهما (الرسوب) وللآخر (المخدم) كان الحارث بن أبي شمر الغساني نذرهما لصنم طيء، وكانت أخت عدي بن حاتم فيمن سبى علي -رضي الله عنه-.

وقد عقب الطبري على هذه الرواية فقال: أما الأخبار الواردة عن عدي عندنا بذلك فبغير بيان وقت، وبغير ما قال الواقدي في سبي علي أخت عدي، وهذا من أبي جعفر غمز لهذه الرواية لم يذكر سببه.

أما حديث إسلام عدي بن حاتم وأحداث قصته فمروية بروايات مختلفة المخرج والوقائع، بعضها في الصحاح، وبعضها من روايات أصحاب الجوامع والسنن، وبعضها من روايات السيرة.

قال السهيلي في الروض: وحديث إسلام عدي صحيح عجيب، أخرجه الترمذي، وأخته التي ذكر إسلامها أحسب أن اسمها سفّانة، لأني وجدت في خبر عن امرأة حاتم، تذكر فيه من سخائه، قالت: فأخذ حاتم عديا يعلله من الجوع، وأخذت أنا سفّانة.. ولحاتم عقب من قبل عبد الله بن حاتم، ولا يعرف له بنت إلا سفانة، فهي إذن هذه المذكورة في السيرة.

وفي صحيح البخاري من حديث عدي بن حاتم قال: أتينا عمر بن الخطاب ـ أي في خلافته ـ في وفد، فجعل عمر يدعو

رجلًا، رجلًا، يسميهم، فقال عدي ليلفت نظر عمر لما لم يذكره باسمه: أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال عمر رضي الله عنه: بلى، أسلمت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وعرفت إذ أنكروا، فقال عدي: لا أبالي إذن.

وقد أوجز ابن إسحاق قصة وفد طيء بزعامة سيدهم زيد الخيل، وقد أكملنا أحاديث وأحداث هذه القصة فذكرناها عند مناسبتها، ولكن ابن إسحاق أسهب وأطال في قصة عدي بن حاتم، وذكر هربه من وجه كتائب النبي ﷺ فارا إلى الشام، وذكر سبي أخته ولم يسمها، وذكر ترفق النبي ﷺ بها، وإحسانه إليها بعد منه عليها، وتجهيزه لها بالحملان والنفقة والكسوة، وحرصه ﷺ على أمنها وسلامتها، ومشورتها على أخيها عدي بالقدوم على رسول الله ﷺ، وإسلامه، وما وقع له مع النبي ﷺ من محاورة فتح بها رسول الله ﷺ قلبه للإيمان، فأسلم وحسن إسلامه.

وقد نقل هذه الرواية المسهبة عن ابن إسحاق أكثر أصحاب السنن، ورواها بسنده الإمام أحمد في مسنده، وقام على دعائمها حديث قصة قدوم عدي بن حاتم على رسول الله ﷺ عند أهل السير، وهي رواية مفصلة جامعة جاء فيها من الأحداث ما لم يجئ في غيرها من الروايات، ونحن نسوقها لما فيها من معالم منهج الرسالة، ولا سيما محاورة النبي ﷺ لعدي فيما يصده عن الدخول في الإسلام مما يراه من حاضر المجتمع المسلم يومئذٍ في قلة عدده وكثرة عدوه، وضعفه وقوة أعدائه، وفقره

وحاجته وثراء أعدائه، وكثرة المال في أيديهم وإقبال الدنيا عليهم، مع شوكة الملك والسلطان، وإنباء النبي ﷺ بتغير ذلك كله، وانتقال الثراء والأمان، وكثرة العدد، وقوة الملك والسلطان إلى المجتمع المسلم.

قال ابن إسحاق راويًا عمن سماه شيبان بن سعد الطائي يقول: ما رجل كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني.

أما أنا فكنت امرأً شريفا، وكنت نصرانيا، أسير في قومي بالمرباع، فكنت في نفسي على دين، وكنت ملكًا في قومي لما كان يصنع بي، فلما سمعت رسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعيًا لإبلي: لا أبا لك، اعدد لي من إبلي أجمالًا ذللا، سمانا فاحبسها قريبا مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطِئ هذه البلاد فآذني، ففعل، ثم أتاني ذات غداة، فقال يا عدي ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات فسألت عنها، فقالوا هذه جيوش محمد، فقلت: قرِّب لي أجمالي، فقربها، فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام، فسلكت الحوشية وتركت ابنة حاتم في الحاضر، وتُخَالفني خيل رسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم، وجعلتْ مع السبايا في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يحبسن فيها، فمر بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه ـ وكانت امرأة جزلة ـ فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ مَنَّ الله عليك، قال ﷺ: «ومن

وافـدك» قالت: عدي بن حاتم، قال صلوات الله عليه: «الفارّ من الله ورسوله؟».

قالت: ثم مضى رسـول الله وتركني حتى إذا كان الغد مر بي وقد أيست، فأشار إلى رجل من خلفه: أن قومي فكلميه، فقمت إليـه، فقلت: يا رسـول الله، هلك الوالد، وغـاب الوافد، فامنن علـي من الله عليـك، قال ﷺ: «قد فعلت» فـلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني» قالت: فسـألت عن الرجل الذي أشار إلي أن كلميه، فقيـل: إنـه علي بن أبي طالب، وأقمت حتـى قدم ركب من بلي أو من قضاعة، وإنما أريد أن آتي أخي بالشـام، فجئت رسول الله ﷺ فقلـت: يا رسـول الله قـد قدم من قومي ركب لـي فيهم ثقة وبلاغ، فكسـاني رسول الله وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قـال عـدي: فـوالله إني قاعد فـي أهلـي فنظرت إلـى ظعينة تصـوب إليّ تؤمُّنـا، فقال عدي: ابنة حاتم، فـإذا هي هي، فلما وقفت علي انسـحلت ـ أى انساقت تلوم جادة ـ تقول: القاطع، الظالم، احتملـت بأهلك وولدك، وتركت بنية والدك وعورته؟ قال عدي: فقلت: يا أخية، لا تقولي إلا خيرًا، فوالله مالي عذر، لقـد صنعـت ما ذكـرت، ثم نزلـتْ فأقامت عنـدي، فقلت لها وكانـت امـرأة حازمة ـ مـاذا ترين في أمر هـذا الرجل؟ فقالت: أرى والله أن تلحق به سـريعًا، فإن لم يكن الرجل نبيًا فالسـابق إليـه لـه فضيلة، وإن يكن ملـكا فلن تذل في عـز اليمن، وأنت

أنت ، قلت : والله إن هذا للرأي ، فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ ، فدخلت عليه وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : «من الرجل ؟» قلت : عدي بن حاتم ، فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بي إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا ، تكلمه في حاجتها ، قال عدي ، فقلت في نفسي : والله ما هذا بملك ، ثم مضى رسول الله ﷺ حتى دخل بيته ، فتناول وسادة من أدم محشوة ليفًا ، فقذفها إلي فقال لي : «اجلس على هذه» قلت : لا ، بل أنت فاجلس عليها ، قال «لا ، بل أنت» فجلست ، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض ، فقلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك .

ثم قال رسول الله ﷺ «إيه يا عدي بن حاتم» ألم تك ركوسيًا ؟»

قلت : بلي ، قال ﷺ : «أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع ؟» قلت : بلى ، قال ﷺ : «فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك» قلت : أجل والله ، وعرفت أنه نبي مرسل ، يعلم ما يُجْهَل» .

ثم قال ﷺ : «لعله يا عدي بن حاتم ، إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ؟ فوالله ليوشكن المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم ، وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف إلا الله ؟ لعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين أنك ترى المُلك والسلطان في غيرهم ، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت» .

قال عدي: فأسلمت، وقد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها، لا تخاف شيئا حتى تحج هذا البيت، وايم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه.

بحث وتنبيه:

والنظر المتأمل في هذا السياق المفصل لقصة وفادة عدي بن حاتم على رسول الله ﷺ وإسلامه، وما خصه به من الحفاوة والإكرام، وتمييزه بأمور من التلطف فضله بها على كثير من سروات الوفود وأشراف العرب وزعماء القبائل[١٣] الوافدين عليه ﷺ للإسلام والبيعة - يرى ما ضمت رسالة الهدى والخلود عليه جوانحها من معالم منهجها الذي كان رسول الله ﷺ هو القيم على تطبيقه عمليا في واقع الحياة، ليكون هذا التطبيق الإيجابي درسًا تربويًا لقادة هذا المجتمع المسلم في مستقبل حياته، وليكون دعامة من دعائم إعداد الدعاة إلى الله، حاملي راية الحق والعدل والتآخي الرحيم، فيما ينبغي أن يكون عليه الذين يتصدرون لنشر دعوة هذا الدين القيم، دين الإسلام، وتبليغ رسالته إلى العالمين في آفاق الأرض.

وليكون أسوة حية فيما ينبغي أن يكون عليه المتصدرون من ولاة أمور المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في معرفة

(١٣) السرو: السخاء في مروءة. والسري من يفعل ذلك. وجمع السري سراة وجمع الجمع سروات. (المجلة)

سياسة الناس، ومعرفة أقدار من يؤمونهم لطلب الهداية على أيديهم، لإنزال الناس منازلهم على حسب أقدارهم بين شعوبهم وأممهم، ومعرفة الفضل لأهله، لما في ذلك من استجابة القلوب لما تسمع من تراتيل الخير وترانيم الحق، لتُقبل برغبة وهي صاغية متفهمة لما تسمع.

وهكذا أقبل عدي بن حاتم - وهو كما وصف نفسه في جاهليته من الإعزاز في مكانته بين قومه - على رسول الله ﷺ ليعرف حال محمد ﷺ، ومكانه من المنزلتين اللتين ذكرتهما له أخته وهو في كليهما مصيب لإحدى الحسنيين، فإن كان محمد ملكا فلن يذل عدي في ظل ملكه، وعدي هو هو العزيز في قومه، وإن كان محمد نبيًا فللسابق فضل على من تلبث وتربص واغتبط عدي بتفكير أخته وهي المرأة الحازمة، وأخذ بمشورتها، وترحل عدي مقتنعا برأي أخته ليذهب إلى محمد ﷺ، يؤم المدينة، حتى إذا بلغها صوَّب إلى المسجد فدخله، ورأى رسول الله ﷺ في مجلسه في المسجد، فتيممه، فسلم عليه - ولم تذكر الرواية أنه ﷺ رد السلام على عدي - ولكنه بادره بسؤاله عمن يكون، فقال: «من الرجل؟» فرد عدي منتسبا إلى أبيه، وهو رأس أكارم العرب في الجاهلية - فقال: أنا عدي بن حاتم، ومن هنا يبدأ درس من دروس التربية النبوية يمليه سيدنا رسول الله ﷺ على مرأى ومسمع من مجتمع المسلم الذي يتدرج بتربيته لإعداده لقيادة الحياة الإنسانية، وبناء صرح حضارة إيمانية أساسها التحرر من عبادة المخلوقين بتوحيد الله

الخالق لهـذا الكون مدبره في نظامه الفريد في وجوده، ليخرج البشرية المعذبة من ظلمات الجهالة والاستعباد الظلوم المتجبر إلى نور العدل والتآخي والتراحم.

ولعل هذا الاستفهام الذي بادر به رسول الله ﷺ عدي بن حاتم إنما أثاره في نفسه أنه رأى على عدي سمة فيها ملامح تدل على أنه من سروات العرب وأشرافهم وأعزتهم، الذين تضفي عليهم المكرمـات مظهـرًا من مظاهـر التعزز الأبي الرصيـن، وكأنهم منائر خبت أنوارها، وينبغي أن تضاء شموعها بمكارم الأخلاق لتدخل في سـاحة الإِيمان، وتقود السـالكين إلى منازل الهداية مؤمنين آمنين.

قـال عـدي: فقام رسـول الله ﷺ فانطلق بي إلـى بيته، وهذا مـن باذخ مكارم الأخلاق التي بعث ﷺ لتثبيت دعائمها وإعلاء منائرهـا، لـم يصنعه ﷺ إلا مـع أقل القليل من بواذخ أشـراف العرب وسرواتهم، بل لم نر في رواية أنه ﷺ صنع هذه المكرمة مـع أحد غيـر عدي بن حاتم، إذ بادر بمجرد أن سـمع من عدي اسمه ونسـبه القصير الباذخ حتى قام من مجلسه منطلقا به إلى بيته ليتحفه بإِكرامه وينزله منزلته، عرفانا بشـرفه وبالغ فضله فـي جاهليته والنـاس معادن، خيارهم فـي الجاهلية خيارهم في الإِسلام.

وكان عـدي -رضـي الله عنه- ما يزال وهـو يمضي مع النبي ﷺ فـي مرحلة التعـرف، ليتحقق من وصية أخته ومشـورتها، وهـي التي أوتيـت نصيبًا رفيعًا من أصالة الـرأي، وقد قالت له:

أســرع لتلحق به، فأمره لا يخرج ـ في وضعه المتوج بانتصارات مدويــة أداخــت قبائــل العــرب، وأدارت رءوس قــادة الجاهلية وزعماء الوثنية عن كواهلها ـ عن أن يكون نبيًا مرسلًا، فللسابق إليه فضل، وللنبوة وداعتها ورقة حاشيتها، ولطفها وتواضعها، ومســارب حســها في حركتهــا إلى القلــوب وهي تنســرب في مداخلهــا لتشــذب وتهذب، وتلين القاســي، وترفه الجاســي، وترقق الغليظ وتســهل الجافي، وللرســالات الإلهية شــمائلها الرفيعة ومســالكها في التحبب والتحبيب، لتجعل من البشرية في شــتى مواطنها، ومختلــف أجيالها وتفكيرها أســرة واحدة يظللها الإيمان، متواسية متحابة، متساوية متآخية.

وفــي ظل مرحلة التعــرف وبدء أولى خطواتهــا (التطبيقية) بدأت أشعة شمس الهداية ترسل خيوطها إلى آفاق قلب عدي بن حاتم في ريث ومهل، فيرى ـ وهو يمشي مع النبي ﷺ عامدًا به إلى بيته ـ أن امرأة ضعيفة كبيرة تستوقف رسول الله ﷺ، فيقف لهــا طويلًا تكلمه فــي حاجتها، وهنا يتهاوى قنــاع التعالي عن قلب عدي مائلا إلى أحد جانبيه، ولكنه لا يســقط لتمكن غرزه في ســرج الوثنيــة النصرانية التي كان يديــن بها عدي، ويحس عدي بميل القناع عن قلبه، وتنســرب أشــعة شمس الهداية إلى هــذا القلب فــي خفة ولين، ويشــعر عدي بخيوطهــا تهتز على حفافي قلبه، فيقول محدثا نفسه، والله ما هذا أمر ملك، وعدي -رضــي الله عنــه- كان من أعلم النــاس بمظاهــر الملك وقهره وجبريته وغشمه، وبوائقه وظلمه.

ثـم يمضي رسـول الله ﷺ في طريقه إلى بيتـه، وعدي يتبعه حتـى دخـل ﷺ البيت وتناول وسـادة مـن أدم محشـوة ليفا، فألقاهـا إلى عدي، وقـال له: «اجلس على هذه» فقال عدي: لا، بـل أنت فاجلس عليها، فقـال ﷺ: «لا، بل أنت» وجلس عدي سـامعًا مطيعًـا على الوسـادة، وجلس رسـول الله ﷺ بالأرض، وكانت هذه المعلمة من معالم المنهج الإسـلامي نموذجا يمثل أرفع مكارم الأخلاق في عرفان فضل شرف الشرفاء، وقال عدي يحـدث نفسـه: والله ما هذا بأمـر ملك!! وماذا بقـي بعد هذا؟ وأسرعت سـحائب الظلام فانجابت عنٍ سماء المعرفة والعلم، وعرف عدي أن محمدًا ﷺ لم يكن ملكا متسلطًا، يكره الناس على الإيمان برسـالته واتباعه، والإيمـان بدعوته، دعوة النور، والهدى، والخير، ومكارم الأخلاق، فآمن عدي، واسـتنار قلبه، ولكنه كان ما يزال مع ماضيه مشدودًا بمشاعره فيما كان يعيش عليه من مظاهر التعالي في قومه.

وهنا أراد النبي ﷺ أن ينتزعه من كابوس أحلامه، ويشده إلى الحقيقة الكبرى في الإسلام، وهي حقيقة توحيد الخالق وإفراده بالعبودية، ولـم يزل به يحاوره بواقع تاريـخ الحياة وتنقلاتها، وأراه مـن أخبار الغيب في أمور يحيا بها عدي بين قومه، وهي لا تجوز له في دينه الباطل ونصرانيته الملفقة، ليكفكف من غلواء غـروره بهـذه النصرانية الباطلة، فقال لـه ﷺ: «إيه يا عدي بن حاتم، ألم تكن ركوسيًا؟» قال عدي: بلى، ومعنى هذا التساؤل النبوي بيان أن عدي بن حاتم لم يكن على شـيء من النصرانية

تدينًـا، وإنمـا كان على نحلـة ملفقة لا تعرفهـا النصرانية التي يدعيها عدي دينا له، وهذا كشف عن حقيقة كان يطويها عدي في مداخل قلبه ليعيش بها في قومه ملكًا.

ثم قال النبي ﷺ: «أولم تكن تسـير فـي قومك بالمرباع؟» قـال عدي: بلى، فقال رسـول الله ﷺ: «فإن ذلك لم يكن يحل لـك في دينك» وهنا اسـتخزى عدي، وعرف أن أمر محمد ﷺ أمـر إلهي، لا يبلغه إلا نبي مرسـل مـن الله -تعالى- ولذلك قال عـدي: أجـل والله، إنـه كان علـى نحلـة ملفقة بيـن النصرانية والصابئة، ومع تلفيقها وبطلانها فإنها لا تسـوغ له أن يسير في قومه بالمرباع، وهو أخذ ربع غنائمهم.

ثـم سـلك النبـي ﷺ به مسـلكا سياسـيا قائما علـى إخبار بالغيب لا يعلمه عدي ولا غيره، وهذا الإخبار يجمع بين الإعجاز والتوجيه، فأما الإعجاز ففي كونه إخبارا بالغيب تحقق في واقع الحيـاة وشـاهده عدي وغيـره من جماهيـر الوافدين للإسـلام والبيعة، كما وصفه المجتمع المسلم الذي حقق أسبابه واجتنى جنيـه، وأما التوجيه ففـي إعداد المجتمع المسـلم للجهاد في سـبيل الله ونشر الدعوة وتبليغ الرسـالة خارج الجزيرة العربية بعد أن تطهر داخلها من رجس الوثنية وأوضار الشـرك، وقد بدأ هـذا التوجيه بغزوة تبوك التي كانت الخطوة الأولى في التحرك الإيجابـي للجهاد خارج الجزيرة العربية للبدء في تحقيق عموم الدعوة ونشرها في الآفاق.

ولا شـك أن هـذا الإعـداد للمجتمع المسـلم قائـم على أن

يكـــون هذا المجتمع مســـتعدًا متأهبا بما ينبغـــي أن يكون عليه المجاهدون من القوة المادية التي تؤازر القوة الروحية في نشـــر الدعوة والدفاع عنها، مع ما في هذا الإخبار الغيبي من إشارة إلى ما يجب أن يكون عليه المجتمع المسلم من صدق التوكل على الله من الطموح المترفع عن صغائر الحياة، ومع ما فيه من الإشارة إلـــى أن الأمم التي تعيش بعيدا عـــن حقيقة التوحيد والإيمان قد نخر الســـوس جذوعها، فهي دوحات منتشرة الأغصان، متآكلة الجذور، لا تماسك لها بالأرض التي تقوم عليها.

فكان لا بد من اجتثاث عوســـج الشـــرك، وضريع الوثنية من أرض الإنسانية، وإلقاء بذور دوحات التوحيد، والتحرر من ربقة العبودية للمخلوقين.

وهذا المســـلك السياســـي الحكيـــم كان من قبيـــل المفاجأة لمشـــاعر عدي بن حاتـــم لتنبيه هـــذه المشـــاعر المتأرجحة في مداخل نفســـه، ونفس كل زعيم من زعمـــاء القبائل العربية التي تباطأت عن الدخول في هذا الدين، حبًا في التعالي بين أقوامهم، واســـتدامة للثراء والجاه على حساب ما يتقاطر من عرق أولئك الأتباع وما يسفك من دمائهم في سبيل رغائب الزعماء، ليعيشوا فـــي عنجهية الترف المهلك، ولقد كان الفقر هو ســـيما العرب قاطبة، يحيون في شـــظفه وقفاره، وبؤسه البئيس، فإذا عضتهم المسغبة حتى أسلمتهم إلى المتربة سطا قويهم على ضعيفهم، وقادِرُهم على عاجزهم ليســـتلب منه ما فـــي يده ليعيش دون أن يبالـــي بمن ســـواه، وهؤلاء الزعمـــاء الذين يوجهـــون الجماهير

لطاعتهم تحقيقًا لشـهواتهم المترفة قلة يعيش أقوامهم في ظل استبدادهم بهم عبيدًا لما تقبض عليه أيديهم من فتات الحياة.

وكان عـدي بـن حاتم من هـذه القلة التي عاشـت في قومها عيشـة الملوك المسـتبدين، وقد قرأ النبي ﷺ ما كان مسطورًا في صحيفـة ضمير عدي مما كان يكتمه في صدره، ويكنه بين جوانحه من هلع وخوف أن يسـلمه الإسلام إلى الفقر والشظف ويبـس العيـش، ومشـقة السـعي للحصـول علـى الضـروري منـه، فبـادره ﷺ بقولـه، بعد أن نـزع من قلبه حسـك التعالي والاسـتكبار، وعيشـه بين قومه ملكا غير متوج، وسيدًا بالبأو والتنفـج[١٤]، تُجبـى إليـه المرابع من غنائمهـم التي يعرضون لأجلهـا رءوسـهم أن تتهـاوى من فـوق أعناقهم إرضـاء لتلمظ شـهوات زعامته: «ولعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم»، وقد كان كذلك في نفس عدي بن حاتم؛ لأن النقلـة من حال الترف في مظاهر الملك المصطنع إلى حال الفقـر المدقع الـذي لا يكاد يجد فيه ما يسـد الرمـق أمرٌ على النفس التي عاشت في قومها عيشة عدي في ملكه المزور.

ثـم تابـع النبي ﷺ قوله بعـد أن هز كل ذرة فـي كيان عدي ليوقظه من أحلام الماضي إلى صدق الأمر المتوقع في المستقبل القريب الذي سيشـهده عـدي، ويوغل في متعته حـلالًا طيبًا: «والله ليوشـكن المـال يفيض فيهـم حتى لا يوجد مـن يأخذه» وهذا تبشـير لعدي خاصة ليسـرع إلى رسـوخ اليقين، وتبشير

(١٤) البأو: الزهو والافتخار. والتنفج: الافتخار. (المجلة)

عام للمجتمع المسلم ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، وإنذارًا للذين عموا عن أنوار الهداية ركونًا في ظلام الغرور، ليعلم الناس مؤمنهم ومشركهم أن الشدة التي تغلف حياة المجتمع المسلم إنما هي سحابة عرضت في أفق الابتلاء، ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، وستنجاب عنه قريبًا سحب العسرة، وتشرق في آفاقه شموس الثراء الطافح الفياض، فيكثر المال في أيديهم، ويعم الأفراد والجماعات، وتخرج منه الصدقات وافرة غامرة فلا تجد لها آخذًا محتاجًا، ولا متكثرًا لتوافر الكفاية وما فوقها.

ودخلت الطمأنينة إلى قلب عدي بن حاتم ومعها دفء اليقين، وبرد الإيمان، وامتلأت مشاعر عدي بأنه سيجد -وهو أحد أفراد المجتمع المسلم- ما يعوضه عن ملكه الزائف، ومرابعه الممزوجة بدماء قومه في حياة إيمانية نظيفة طيبة، فطابت نفسه، واستحوذ عليه الرضا بالمستقبل والرضا بحياة يغمرها الإيمان ويزينها الإسلام.

ولم يقف سيدنا رسول الله ﷺ في مساءلته لعدي بن حاتم عن الحوائل التي تحول بينه وبين الدخول في هذا الدين، ومحاورته له محاورة منتزعة الموضوع مما يجول في داخل نفس عدي عند هذا الذي هيأ عقل عدي ووجدانه لتفهُّم واقع الإسلام ومستقبله، ولكنه -وهو الحكيم الذي أعطاه الله قوة من الإشراق الروحاني تسامت بإشراقها فوق جميع قوى إشراق الروحانية العليا- رأى أن عديًا ما يزال يداخله مع نور الهداية

شـــيء يشـــده إلى الإعظام الجاهلي للقوة المادية، والتهيب لها فـــي مواطنها من وثنيات الأمم عربًــا أو غير عرب، وهذه القوى المســتعظمة في نظره المتهيبة في ماضيــه الموروث تتمثل في كثرة عدد الذين يناصبون هذا الدين بالعداوة والبغضاء، ويقفون من دعوته موقف المناهض المحارب، ولا ســيما أن عديًا بحكم نصرانيتــه الملفقة رأى في جموع الروم ببلاد الشــام وما وراءها من أقطار الاســتعباد الرومانــي، وكأنهم صف يمتــد حتى يبلغ رومــا عاصمة النصرانيــة المحرفة، في جمــوع متكاثرة تكاثرًا يســد عين الشمس، كما أن عديًا رأى جموع الفرس وحشودهم الضخمة وهم المنافسون للروم عددًا وعدة.

وقــد كانت الحــرب بين الأمتين: الفرس والرومان ســجالًا، ولــم يكن للعرب وجــود ذو قيمة تُتَّقى مــن أي أمة من الأمتين، بــل كان الهلــع والرعب من مجــرد ذكر اســمي الأمتين: الروم والفــرس، يصــم آذانهم، ويُعمــي أبصارهم، ويبكم ألســنتهم، فأراد النبي ﷺ أن لا يستبقي في مشاعر عدي بن حاتم شيئًا من هذا الإعظام الذي كسرت شوكته غزوة تبوك، والذي جعل قلب عــدي كالأرجوحة، يهتز بيــن الخوف الهالــع والرجاء الواجم، الخــوف من هــذه الكثرة الهائلــة المعادية للإســلام ومجتمعه، والرجــاء فــي قــوة الإيمان التــي اكتســحت الجزيــرة العربية، وجاءت به بعد هربه مستســلمًا إلى دوافع الهداية، فقال ﷺ له ليثبت الإيمان في قلبه حتى يرى الأمن والأمان يمدان جناحيهما وينشران ظلالهما على جميع من تُقلُّه أرض الإسلام على اتساع

أرجائهـا، وتظلله سـماء الإيمـان على ترامـي إطاراتها: «فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله»، ومعنى هذا أنه ﷺ يخبر بأن ظلال الإسلام سـتمتد، وتفتح الأقطار والبلاد، ويدخل الناس في دين الله أفواجًا، ويتعاظم عدد المسلمين كثرة، ويفوق عددهم عدد أعدائهم، وهم محصنون بمكارم الأخلاق ونور الإيمان، فيشيع بينهم الأمن ونخوة الإيمان.

وقـد ضـرب النبي ﷺ المثـل بالمرأة في الاستشـعار بالأمن؛ لأنها مخلوق إنسـاني مهيض الجناح، ضعيـف المقاومة، المثير للمطامـع فـي أنفـس الذين كانوا يعيشـون فـي الذعـارة وإخافة الآمنيـن[١٥]، حتـى دخلـوا في هـذا الديـن فأذابهم فـي بوتقته، وأحالهم إلى مثل حَيّة للهداية والنخوة الإيمانية، لا يخيفون أحدًا ولا يعتـدون على أحد، ولكنهم ينهضون لحماية الضعيف وإغاثة الملهـوف، ونجدة المكروب، وإعلاء شـأن المؤاخـاة التكافلية بين أفراد المجتمع المسلم وجماعاته أينما كانوا من أرض الله.

تلـك المؤاخاة التي أقام على دعائمها رسـول الله ﷺ صرح بناء هذا المجتمع، والتي أسـس ﷺ على مبادئها أصول تربيته الاجتماعيـة التـي ينبغـي أن يعيش بهـا المجتمع المسـلم في مستقبل حياته الرائدة لحياة الإنسانية.

وعلـى ركائز هـذا المنهج التربـوي الاجتماعـي ارتفع لواء

---

(١٥) الذعـر: الخوف، والذعارة احـتراف الإغارة والنهب وإخافـة الآمنين. انظر تكملة المعاجم العربية. (المجلة).

المؤاخاة خفاقًا فوق قمم دنيا الإِسلام، ومجتمعاته أينما كانوا، وكيفما كانوا في تفكيرهم ومعارفهم ما داموا في داخل سياج أصول الإِسلام.

ومن ثم يصبح كل رجل في هذا المجتمع المسلم أبًا لكل طفل وطفلة، وأخًا لكل رجل وامرأة فيه، يذود عن ضعيفهم، ويحمي حوزتهم، ويغض عن محارمهم حتى يكون المجتمع المسلم أسرة واحدة على اتساع رقعة أوطانه وترامي أكنافه وأرجائه، يحس من كان في أقصى الأرض من أفراده وجماعاته بألم وشكوى من كان منهم في أطارفها الأخرى، ويشارك كل فرد من أفراده أو جماعة من جماعاته كل فرد أو جماعة نأت عنه بأوطانها فرحتهم، ولم تكن عينه قد اكتحلت بمرآه، ولكن وحدة الشعور والإِحساس الوجداني كانت هي بريد الاتصال بينهم.

وإذ بلغ الإِسلام هذا المستوى من البناء الاجتماعي في حياة معتنقيه وهو هدفه الأصيل، من دعوته، وجماع معالم منهج رسالته التي أرساها النبي ﷺ، ثم خطا بها خطوات داخلية وخارجية، وضع بها ﷺ مجتمعه على أول نقطة في خط الحياة المستقبلة للمجتمع المسلم، وقد تابعه أصحابه الذين رباهم على عينه مدة عهد الشيخين: الصديق أبي بكر والفاروق عمر -رضي الله عنهما- حتى ضرب الشيطان ضربته التي مزق بها أديم المجتمع المسلم كل ممزق.

وفي لفحة هذا التفسخ مضى المجتمع المسلم يقتل بعضه

بعضًا في فتن جائحة أوقفت المد الإِسلامي، ثم ردته إلى الجاهلية الأولى، ووقف الشيطان وجنوده ومِن ورائهم أعداءُ هذا الدين وفي أيديهم معازف العصبيات القبلية والقومية والوطنية، يعزفون لهم عليها لحن تأريث العداوات الفاجرة والبغضاء الكافرة.

وليعلم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، حكامًا ومحكومين، أن الذئاب لا تشبع من لحوم الحملان، ولن تترك الذئابُ صيدَها الشهيَّ من لحوم هذه الحملان المسلمة ما دامت حظائر الحملان مهملة لا تحرسها كواسر جيوش الجهاد بزئيرها الذي يشقق مرائر الذئاب في أكبادها، ولا تجمعها كتائب الاستشهاد في سبيل العزة والكرامة.

ولن تشفع للحملان محالفات الصداقات، ومعاهدات المصالح المشتركة مع قطعان الذئاب الجائعة، ولن تجدي الحملان شيئًا في حمايتها والدفاع عنها الخطبُ الرنانةُ، ولا أحاديث الإِذاعات الطنانة، ولا الأقلام المأجورة المسترزقة، ولا بيانات (التلفزة) المصورة، ولا احتفالات العبث المزورة على الدين، ولا التصريحات العاوية الكتوبة من دماء الحملان بمخالب الذئاب.

وليعلم المسلمون أن الزمن استطال بهم في تجارب التحضر المادي بعيدًا عن هداية الإِسلام الروحية والفكرية والعسكرية، وكانت حصيلة هذه التجارب -التي لم يشهد الإِسلام مؤتمراتها- الخيبة والبوار، والذل والهوان، وازدياد سوء الحال، ولم يبق

للمسلمين من التجارب إلا تجربة العودة إلى دينهم وتاريخهم، وهداية دعوتهم إلى الله، عقيدة وتعبدًا وتفكيرًا، ونظامًا اجتماعيًا، وسلوكًا أخلاقيًا، وأدبًا تربويًا، وخوضًا في غمرات الموت في سبيل العزة الإيمانية، فهذه العودة هي المنقذ لهم من الضلال الذي أُركسوا في مهاويه، بالتقليد الأعمى والتبعية العشواء والجري وراء مظاهر الشهوات الفاجرة من خلف كثائف الستور، وجدران القصور، والله -تعالى- لا تخفى عليه خافية، وكيده متين، وإملاؤه اختبار(١٦)، وإمهاله استدراج، وأخذه قهر واقتدار.

وقد جاءت في قصة عدي بن حاتم، ومجيئه إلى رسول الله ومحاورته وإسلامه، بعد هربه من بلاده إلى الشام، خوفًا من كتائب المجتمع المسلم المجاهدة، التي يبتعثها رسول الله ﷺ إلى شراذم قبائل العرب وبطونهم يدعونهم إلى الإسلام - روايات أخرى مختلفة السياق والأحداث والأحاديث بأسانيد مختلفة، ساق ابنُ كثير في تاريخه (البداية والنهاية) كثيرًا منها، بعد أن ساق رواية ابن إسحاق المتقدمة معلقًا عليها بما يغمزها في إيرادها بغير إسناد، فقال: هكذا أورد ابن إسحاق -رحمه الله- هذا السياق بلا إسناد، ثم قال ابن كثير يسندها بعد غمزها: ولها شواهد من وجوه أخر.

ونحن نسوق من هذه الروايات ما نرى فيه شيئًا من معالم

---

(١٦) الملـيّ: الحية الطويل من الزمن ومنه الإملاء للمخطئ بترك مهلة له لعله يتوب ومنه الإملاء على الكاتب وهو ترك مهلة كافية للكتابة. (المجلة)

منهج الرسالة الخالدة، وننبه على ذلك في تعليق يبرز ما لم تبرزه الروايات المتقدمة، مع ذكرنا بعض المخالفات بين الروايات.

روى الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- من طريق عباد بن حبيش، يحدث عن عدي بن حاتم قال: جاءت خيل رسول الله ﷺ وأنا بعقرباء -وهي كورة من كور الشام- فأخذوا عمتي وناسًا، فلما أتوا بهم رسول الله ﷺ فَصُفُّوا له، قالت -أي عمةُ حاتم-: يا رسول الله، بان الوافد وانقطع الوالد، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة، فمُنَّ عليّ مَنَّ الله عليك، فقال ﷺ: «مَن وافدُك؟» قالت: عدي بن حاتم: قال ﷺ: «الذي فر من الله ورسوله؟»، قالت عمة عدي: فمُنَّ عَليّ، فلما رجع ورجلٌ إلى جنبه -ترى أنه عليّ رضي الله عنه- قال: سليه حُملانًا، فسألته فأمر لها.

قال عدي: فأتتني فقالت: لقد فعلتَ فعلةً ما كان أبوك يفعلها، ثم قالت: إيته راغبًا أو راهبًا، فقد أتاه فلان فأصاب منه، قال عدي: فأتيته، فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي، فذكر قربهم منه، فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر [وإنما هو تواضع أليق بالأنبياء].

ثم قال ﷺ لعدي: «يا عدي بن حاتم ما أَفَرَّك؟ أفركَ أن يقال: لا إله إلا الله، فهل من إله إلا الله؟ ما أفرَّك؟ أفرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل؟»...

قال عدي: ثم سألوه -أي أصحابه- فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد: فلكم أيها الناس أن ترضخوا من الفضل،

ارتضخ امرؤ بصاع، ببعض صاع، بقبضة، ببعض قبضة» قال شعبة: وأكثر علمي أنه قال: بتمرة، بشق تمرة، «وإن أحدكم لاقِي الله، فقائل ما أقول: ألم أجعلك سميعًا بصيرًا؟ ألم أجعل لك مالًا وولدًا؟ فماذا قدَّمتَ؟ فينظر بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، فما يجد شيئًا، فما يتقي النار إلا بوجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة لينة، إني لا أخشى عليكم الفاقة، لينصرنكم الله -أو ليفتحن عليكم- حتى تسير الظعينة بين الحيرة ويثرب، إن أكثر ما تخاف السرق على ظعينتها».

ثم قال ابن كثير: وقد رواه الترمذي من حديث شعبة، وعمرو بن أبي قيس كلاهما عن سماك، ثم قال الترمذي: حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث سماك.

هذه الرواية على إسهابها جيدة السياق، وقد اشتملت على أمور مفيدة لم تذكر في غيرها من روايات قصة عدي بن حاتم، كما اشتملت على بعض المخالفات للروايات السابقة، فذكرت ما لم تذكره تلك الروايات، وأظهر هذه المخالفات أن هذه الرواية هي التي انفردت -في نظرنا بعد البحث بقدر المستطاع- بأن المسبيَّة من آل عدي بن حاتم هي عمته، لا أخته، ولم تسمَّ واحدة منهما في هذا الحديث ولا في غيره، فهي رواية شاذة أو محرفة مغلوطة، والذي جاء عن السهيلي في حكاية ذكرها في الروض، واستنبط منها أن أخت عدي التي ذكرتها روايات الجمهور على أنها هي المسبية التي تعرضت لرسول الله ﷺ تطلب منه أن يمن

عليها، لم يكن نصًا في حديث من أحاديث قصة عدي بن حاتم، وإنما كان استنباطًا من حكاية أدبية في سخاء حاتم، وما بلغ إليه جاءت على لسان امرأته.

ومن هذه المخالفات التي تضمنتها هذه الرواية بالنظر إلى الروايات الأخرى ما أجرى على لسانها في لومه وتعنيفه حينما وصلت إليه في أرض الشام ما يناسب أنها عمته، ثم ترغيبها له في القدوم على رسول الله ﷺ بما وصفته من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فهو ﷺ لا يخيب من قدم عليه، وذكرت له أن ناسًا من أشراف العرب قدموا عليه فأصابوا من نواله.

ومن هذه المخالفات أن سائر روايات الجمهور ذكرت أن بدء لقاء عدي لرسول الله ﷺ كان بالمسجد، وأنه سأله: «من الرجل؟»، فذكر عدي اسمه ونسبه إلى أبيه، فبادر رسول الله ﷺ بالقيام والسير به إلى بيته، ولكن هذه الرواية انفردت بأن عديًا لما بلغ المدينة المنورة لم يدخل المسجد، ولكنه صوب إلى حيث كان رسول الله ﷺ في بيت ابنته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء، قال عدي: فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيَّان أو صبي، فذكر ﷺ قربهم منه، ومن الراجح الذي لا يبعد عن اليقين أن المرأة وصبيَّيْها أو صبيَّها إنما هي بنته ﷺ فاطمة الزهراء وابناها: الحسن، والحسين، أو أحدهما.

قال عدي بعد أن رأى هذا المظهر الإنساني النبيل في مجلس سيد الخلق مع ابنته وصبيِّيْهَا في غير تكلف مع التواضع والمحبة، مما لا يخلو عن شيء من الدعابة الرفيعة التي كانت من سماته ﷺ مع أهله وأسرته.

وهنا يعترف بأن ما رآه من حاله ﷺ في سمو أخلاقه، ولطف معشره لم يكن فيه من مظاهر الملك وعجرفة المالكين، وضرب عدي المثل بما رأى في ملك قيصر وكسرى من العنجهية والاستكبار في الأرض.

ومن هذه المخالفات بين هذه الرواية وروايات الجمهور اختلاف أسلوب المساءلة والمحاورة التي وقعت من النبي ﷺ مع عدي في سبب فراره، ليفتح مغاليق قلبه للإيمان، مع الإيجاز النبوي المعجز في هذه الرواية، وتخالف المعاني والحقائق التي دارت حولها المساءلات والمحاورة، وهذا اختلاف أساسي؛ ولذلك انتهت هذه المساءلات بإسلام عدي واستبشار النبي ﷺ بإسلامه وهدايته، وأفهمه بأن الله -تعالى- أنجاه من ملة قوم أصابهم غضب الله وسخطه، كما أنجاه من ملة الضُّلاَّل، فقال ﷺ يفسر ما ختمت به فاتحة الكتاب بما هو كالنموذج للمعنى، فكل من عرف الحق وتباعد عنه وناوأه فهو مغضب لله -تعالى- [١٧] وكل من أقيمت له منائر الهداية فانحرف عنها إلى متاهات الضلال فهو ضال حيران لا يعرف الحق من الباطل.

من فرائد الكلم النبوي في تربية ملكات المكارم:

قال عدي: ثم سألوه -أي أصحابه رضوان الله عليهم- عن أشياء من أمور الدين والقُرَب في صدقات المال وغيرها ليرشدوا في حياتهم، ويُرضُوا ربهم، فحمد ﷺ الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد: فلكم أيها الناس أن ترضخوا من الفضل -والارتضاخ

---

(١٧) نــاء بكذا: احتمله مع المشقة، وناوأ فلاناً: عاداه وكأنه يدَّعي قدرته على احتمال أذاه والصمود أمامه. (المجلة)

هــو العطاء المقارب الذي لا يســتكثر فيه إكثــار القادرين، ولا يســتقل فيه إقلال الذيــن لا يجدون إلا جهدهــم- وهذا لون من التربيــة الاجتماعيــة المتواســية المترافقة يوجه بــه النبي ﷺ مجتمعــه إلــى روح التعاطف والتراحم، فــلا يحقر أحد إنفاق ما يســتطيع مهما قل، وفي سُــنَّة النبي ﷺ أمثلة ونماذج من ذلك نرجو أن نعرض لها عند الحديث عن الشمائل النبوية.

وقد بين ذلك -صلوات الله وســلامه عليه- في هذا الحديث ليُــرِيَ عديًا أن تربية الإِســلام الاجتماعية لا تقــوم على التكاثر والتظاهــر، وإنما تقوم بعــد الإِيمان على المؤاخــاة التكافلية، فالمؤمــن أخــو المؤمن، يواســيه ويرتفــق كل منهمــا بما عند الآخر، فقــال ﷺ: «ارتضخَ امرؤٌ بصاع، ببعض صاع، بقبضة، ببعض قبضة، بتمرة أو بشق تمرة، أو بكلمة لينة» تقع من قلب المؤمن موقع قطر الغيث من الصَّدْيان.

ثــم ذكر ﷺ أن جميع ما أوتيه الإِنســان مــن نعم الله وفضله مســئول عنه يوم يلقى الله، فيســأله مقررًا له بما أفاض عليه من إحســانه، وخص الســمع والبصر بالذكر لأنهمــا منفذ الإِدراك الفكــري الذي تنقل إليــه مظاهر الجلال الإِلهــي في الكون عن طريقهمــا، فهما رســولا العقل، الذي يحول إدراك المحســوس بهمــا إلــى معرفــة بالله -تعالــى- ليســتقر في قلــب المؤمن أن المعرفة التقليدية هباء منثور، لا وزن لها في قيم الإِيمان.

ثــم ذكر ﷺ نعمتي المال والولــد لأنهما زينة الحياة الدنيا، فعن طريقهما يتذوق المرء حلاوة الحياة فيحســن كما أحســن

الله إليــه، فإذا بطر بنعمة الله في الســمع والبصر والمال والولد فقد أذهب طيباته في هذه الحياة الفانية، وقدم على ربه مفلسًــا من الإيمان والعمل، وقد طولب بالجواب عما قدَّم في حياته من شكر هذه النعم، فينظر في ذهول وحيرة أمامه فلا يجد شيئًا من الخير قدمه لنفسه، وينظر من خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، وسائر أقطاره وجوانبه علَّه يجد شيئًا قدمه – فلا يجد شيئًا يتقي به لفح النار إلا وجهه.

ثــم أبان ﷺ عن رحمة الله في أشــد ما يلقــى المرء من مآزق الاحتيــاج فقــال: «فاتقوا النار ولو بشــق تمرة، فــإن لم تجدوا فبكلمــة لينــة» ومعنى هــذا أن المؤمن ينبغي لــه أن يقيم حياته العمليــة على ملكات المكارم، يتعاهد بها نفســه ويربيها على التــزود منها حتى تكون طبيعة من طباعه، يأتيها الإنســان دون تكلف أو شعور بالمضض.

والتــدرج في تربيــة ملكات الخيــر من أنجع وأيســر طرائق غــرس الخير فــي النفــوس، فإعطاء القليــل بعد القليــل يغري بالكثيــر، وتكرار العمل في ســبُل الخير ينضجه وييســره على النفس الإنسانية.

ولهذا أخبر النبي ﷺ عن الله -تعالى- أنه يجزي على القليل كثيــرًا، ويجعــل من هــذا القليل جُنَّــةً من عذاب الله وســخطه، والقرآن الكريم جعل مثقال الذرة مقياس الخير والشر في ميزان العدل الإلهي.

ثـم التفت ﷺ إلى صاحبه عدي بن حاتم وجوّ إسـلامه فأراد أن يثبته، ويرسـخ اليقين في قلبه بالنسـبة لمسـتقبل المجتمع المسلم وما سيلقى من أمور الدنيا وخيراتها، وما سينال من نصر وعطاء من فضل الله، وفتح البلاد والممالك لهداية الإِسلام، وما سـوف يناله الناس من أمن واستقرار، وحرية واطمئنان، تأكيدًا لمـا مضى فـي محاوراته مـع عدي، وضـرب المثل لـه بالمرأة تخـرج علـى رحلها وحيـدة، لا تخاف أحـدًا إلا الله -تعالى- لا يخشـى عليها إلا عبث السـرق على ظعينتهـا، وأمثال ذلك من صغائر الأمور التي لا تخلص منها الحياة.

ومن روايات قصة عدي وقدومه على رسـول الله ﷺ وإسلامه وما جرى له من أحداث ما خرجه الإِمام أحمد -أيضًا- من حديث محمـد بن سـيرين، عن أبي عبيـدة بن حذيفة، عـن رجل، ومن طريق حماد، وهشـام عن محمد بن أبـي عبيدة، ولم يَذْكر (عن رجل)، فذهبتْ عن الحديث الجهالةُ في هذه الرواية، وحمادٌ هو ابن زيد، وهشام هو بن عروة، وهما ممن اتفق على توثيقهما.

قـال الرجل الذي روى عنه أبو عبيدة بن حذيفة ولم يسـمه، أو محمد بن أبي عبيدة بن حذيفة: قلتُ لعدي بن حاتم: حديث بلغني عنك، أحب أن أسمعه منك، قال: نعم، لما بلغني خروج رسـول الله ﷺ كرهتُ خروجَه كراهيةً شـديدة، فخرجت حتى وقعـتُ ناحية الـروم -وفـي رواية: حتـى قدمتُ علـى قيصر- فكرهتُ مكاني ذلك أشدَّ من كراهتي لخروجه.

قـال عـدي: قلت: لو أتيـتُ هذا الرجـلَ فـإن كان كاذبًا لم

يضرنـي، وإن كان صادقًا علمتُ، فقدمـتُ فأتيته، فلما قدمت قال الناس: عدي بن حاتم! فدخلت على رسـول الله ﷺ ، فقال لي: «يا عدي بن حاتم أسـلمْ تسلمْ» قالها ثلاثًا، قال عدي: إني علـى دين، قال ﷺ: «أنا أعلم بدينك منك»، فقلت: أنتَ أعلم بديني مني؟ قال «نعم، ألسـت من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومـك؟» قلت: بلى، قال: «هذا لا يحل لـك في دينك» قلت: نعم، فلم يعدُ أن قالها فتواضعتُ لها.

ثم قال ﷺ: «أما إني أعلم الذي يمنعك من الإسـلام، تقول: اتّبعه ضَعَفةُ الناس، ومنْ لا قوة لهم، وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيـرة؟» قـال عـدي: لـم أرها، وقد سـمعتُ بهـا، قال ﷺ: «فوالذي نفسـي بيـده لَيُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتـى تخرج الظعينة مـن الحيرة حتى تطـوف بالبيت في غير جوار أحـد، ولتفتحن كنوز كسـرى بن هرمز» قال عدي: قلت: كسـرى بن هرمز؟! قال صلوات الله عليه: «نعمْ كسـرى بن هرمـز، وليُبذَلن المال حتى لا يقبله أحد».

قـال عدي بن حاتم: فهـذه الظعينة تأتي مـن الحيرة تطوف بالبيـت في غير جـوار، ولقد كنـتُ فيمن فتح كنوز كسـرى، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثةُ؛ لأن رسول الله ﷺ قد قالها.

في هذه الرواية لطيفة أسـلوبية تميزها عن سـائر الروايات، وفيها الحجة لرواية الحديث بالمعنى، وأن الأسلوب قد يختلف فـي التعبير عـن المعنى الواحـد، فيكون أحـد التعبيرين أحلى مذاقًا من صاحبه.

فالروايات السابقة تقول على لسان عدي بن حاتم، وشاهدها رواية ابن إسحاق أنه قال: ما رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله ﷺ حين سمع به مني، وتقول الرواية: فلما سمعتُ برسول الله ﷺ كرهته، ولا ريب أن التعبير بكراهة خروجه ﷺ ألطفُ من التعبير بكراهته؛ لأن ما كان يتحلى به من رفيع الشمائل خَلْقًا وخُلُقًا لا يمكن أن يتعلق بها كراهة لشخصه ﷺ، وإنما الكراهةُ كانت لما جاء به من رسالة الهدى التي كان هدفها الأعظم هو القضاء على الشرك والوثنية والظلم والطغيان المستكبر، وتثبيت عقيدة التوحيد، وإقامة موازين العدل والإخاء والمحبة، نحن لا ندافع عن جاهلية عدي بن حاتم التي لا تبالي بجفوة الأسلوب.

وفي هذه الرواية من المخالفة أن عديًا قال: فخرجتُ حتى وقعتُ ناحية الروم، أو حتى قدمت على قيصر، فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهتي لخروجه ﷺ؛ لأن عديًا شعر بأن ما كان فيه من مكانة بين قومه لم يبق له وجود أمام صلف قيصر واستكباره.

قال عدي: فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ رآني أصحابه قبل أن أراه وأجلس إليه في مجلسه، فقال الناس: عدي بن حاتم، فرحًا بقدومه لمكانته في جاهليته، وهذا نوع من لفت النظر مفاخرًا بأنه معروف المكانة.

قال عدي: ثم دخلت على رسول الله ﷺ، وجلست في

مجلس مع أصحابه الذين أخذوا بمجالسهم أكنافه وحفوا به في إعظام وتوقير وحب، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال له: «يا عدي بن حاتم، أسلم تسلم» قالها ثلاثًا تبليغًا ودعوة إلى الإسلام.

وهنا تتسع دائرة المخالفة بين هذه الرواية وغيرها من الروايات؛ لأن في بعضها أن رسول الله ﷺ لما رآه على زيّه وسمته بادره بقوله «مَنْ الرجل؟» فانتسب له عدي وذكر اسمه واسم أبيه، فقام رسول الله ﷺ وانطلق به إلى بيته ليخصه بإكرامه تألفًا لقلبه على الإسلام، وبينا رسول الله ﷺ في طريقه إلى بيته يتبعه عدي رأى عدي من شمائل رسول الله ﷺ ورفيع أخلاقه ومحاسن شيمه وتواضعه ما رأى في وقفته مع امرأة ضعيفة كبيرة، بلغتْ من علو السن ما كشف عن ضعفها، استوقفته طويلًا تُحدِّثه في شأنها.

وهنا اهتز قلب عدي وعرف أن هذه الخصلة النبيلة من التواضع والصبر الجميل والحلم الكريم، ليست من ملك كسرى ولا قيصر في شيء، ولكنها سجية لا يملكها إلا الذين لا يبالون بمظاهر الدنيا وزينتها.

ولا شك أن هذا كله مباين لما جاء في هذه الرواية، وزاد في استفتاح قلب عدي للهداية أن النبي ﷺ لما دخل في بيته ومعه عدي ألقى إليه وسادة تكريمًا له، وقال له: «اجلس على هذه» فمنع الأدبُ عديًا أن يجلس عليها توقيرًا لرسول الله ﷺ، وقال: بل أنت اجلس عليها، وعزم النبي ﷺ الأمر وقال: «بل

أنت » ، فجلس عدي على الوسادة إطاعة لرسول الله ﷺ ، وجلس رســول الله ﷺ بــالأرض . وهذا أيضًــا زاد في اهتــزاز قلب عدي وجعله يحدث نفسه بقوله : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم أخذ النبي ﷺ في محاورة عدي ليزيح عنه رهام ظلام الجاهلية الذي تبقى في نفسه(١٨) .

وبدأ رســول الله ﷺ محاورته الحكيمــة المحكمة بتخليصه مما عسى أن يكون خبيئًا في مشاعره ليطهره من أدران الجاهلية عامــة وجاهليتــه في ملكه الزائــف ، وما كان يصنعــه بقومه من المظالم ، وما كان يصنعه به قومه من التعبد لسلطانه ، ويستنبت في أرض قلبه وعقله ومشاعره رياض الإيمان التي لا تنبت إلا في أرض طهــور ، فأراه أنه على نِحلة ملفقة مــن النصرانية والصابئة المجوســية ، وأنه يمشــي في قومه بظلم لا تجيزه ديانته ، وهذا إخبــار معجز لم يسَــعْ عديًــا أن يصبر على فضحــه ، فاعترف به وعــرف يقينًــا أن محمدًا ﷺ نبي مرســل يُخبَــر بالغيب فيُخبر به ، فإذا هو فــي صدقه كفلق الصبح ضياءً ووضوحًا ، فقال مقرًا بصــدق ما أخبر به رســول الله ﷺ : أجــلْ والله ، وعرفتُ أنه نبي مرسل ، يعلم ما يُجهَل .

ثــم أراه ﷺ مــا كان يكنــه في نفســه من موانــع تحجزه عن الدخــول في الإســلام حتى انتهى به الأمر إلى مــا لم يكن له منه بــد ، فأســلم ، وكان يتحدث بأخبار النبــي ﷺ ، ويقول : مضت

(١٨) الرِّهمة: المطرة الخفيفة. والرِّهام من الطير كل شيء لا يُصطاد. وقوله (رهام ظلام الجاهلية) معناه ظلامها القليل. (المجلة)

اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن، وفي رواية: (والله لتكونن لأن رسول الله ﷺ قد قالها)، وهذا دليل على رسوخ إيمانه بصدق رسول الله ﷺ فيما يحدث به ويخبر عنه.

ولنزم زمام القلم، ونكتفي بهذا التحقيق القليل عما يدور في النفس من الكثير، وما ذكرنا من البحث في موازنة الروايات فيه غناء لمن يريد.

وإلى هنا -أيضًا- نقف عن الاسترسال في عرض قصص الوفود، وما كان فيها من أحداث، وما وردت به في شأنها الأحاديث والآثار، فالقليل يدل على الكثير، وسيجد قارئ الكتاب كثيرًا من الوفود وأخبارها وقصصها وأحداثها وأحاديثها وآثارها والتعليق عليها فيما قدمنا عند مناسباتها مبسوطًا مفصلًا.

الفهرس